
لدرسان
المغرب
بام..بام
حزب طارعه بنكيران وصرعه أخنوش

افتتاحية

لماذا يصلح ال"بام"؟

أستأذن منخرطي حزب الأصالة والمعاصرة في طرح هذا السؤال ونحن على بعد ثلاثة أسابيع من المؤتمر الوطني الخامس لهذا الحزب الاستثنائي. لا أقصد من خلال هذا التساؤل ربط هذه المحطة التنظيمية بما يروج حاليا في وسائل الإعلام من ملاحقات محتملة لبعض الوجوه القيادية البارزة في هذا الحزب، بل أقصد بشكل خاص سؤال الجدوى و"سبب النزول" بالنظر إلى تاريخ هذا الحزب ومساره الفريد.

دعونا نذكر بأن حزب الجرار خرج من رحم زلزال سياسي انطلق باستقالة رجل مقرب من الملك، هو المستشار الملكي الحالي فؤاد عالي الهمة، من منصبه كوزير منتدب في الداخلية، ومبادرته إلى تأسيس "حركة لكل الديمقراطيين" التي ضمت جزءا من قدماء اليسار والحقوقيين، وكوكبة من الأعيان، وتشكيلة نوعية من الوجوه السياسية مثل رئيس الحكومة الحالي عزيز أخنوش، قبل أن تتحول إلى حزب يرفع شعار التحديث دون التفريط في القديم، وبشكل خاص وأساسي، التصدي للزحف الذي كان يقوم به حزب الإسلاميين المشاركين في "اللعبة" السياسية، أي العدالة والتنمية.

تراجعت الدولة اليوم ، أو صمتت على الأقل، عن المشروع "الحداثي الديمقراطي"، وعادت السلطة لتحيي الكثير من أدواتها العتيقة في التدبير وفي تجديد مصادر الشرعية وتعزيز قاعدتها الشعبية، والحزب الإسلامي الذي كان البعض يراه عاصفة تسونامي قادمة بقوة ارتفع حتى ارتفع ثم سقط بشكل مدو انتخابيا، والحلم القديم الذي راود الدولة بتعيين تشكيلة من التكنوقراط ورجال الأعمال في الحكومة تحقق لها بطريقة تفوق ما كانت تسعى إليه، وبغطاء يكاد لا ينازع فيه أحد، إلا همسا، من شرعية صناديق الاقتراع... فما الحاجة إلى حزب الأصالة والمعاصرة؟

لقد تخلت الدولة عن مشروعها الحداثي المعلن في بدايات القرن الحالي، والسبب قد يعود إلى كون الحداثة لا يمكن أن تقتصر على ما هو اجتماعي، بل لابد أن تمتد إلى السياسة والاقتصاد وهو ما لا يتحمله الوضع القائم، أو لأن ما سُمح به من تحديث سياسي عبر التسليم بمنطق الاحتكام للانتخابات واحترام الإرادة الشعبية، أفرز اختيار طبقة متوسطة ناشئة لتيار مناهض للحداثة كما كانت تتمثلها

> **تراجعت الدولة اليوم ، أو صمتت على الأقل، عن المشروع "الحداثي الديمقراطي"**

الدولة.

كما تم التخلي عن إرث العشرية الأولى من العهد الحالي، المتمثل في تقرير الخمسينية وهيئة الانصاف والمصالحة، وهي المرجعيات التي لم تحظ حتى بالتكريم الذي يوحي به دينا للموتى، أي الدفن، فبقيت عالقة (ما مزوّجة ما مطلقة)، وعوضها تقرير النموذج التنموي ومقاربة حديدية في تدبير الحقوق والحريات... بالتالي وانطلاقا من المرجعيات والمبررات التي أتى بها مؤسسو الحزب، يصبح السؤال ملحا: ما الحاجة التي تبرر وجود حزب الأصالة والمعاصرة؟

حاجة الدولة إلى حزب يزيح الإسلاميين من الصدارة، والتي عبر عنها الهمة منذ اليوم الأول، هي الورقة الأهم التي خسرها حزب الجرار. ولا يعود ذلك إلى كون عوامل ذاتية وأخرى موضوعية اجتمعت لتطوح بحزب العدالة والتنمية من الرتبة الأولى إلى الصف الثامن، بل وخصوصا لأن لاعبا آخر قلب الطاولة على مؤسسي حزب الجرار مبكرا، من خلال انسحابه من حركة لكل الديمقراطيين ورفضه مواصلة الإنفاق على تحركاتها، هو الظاهرة عزيز أخنوش، أثبت "جدارته" بفعالية، وأنجز المهمة.

السؤال المطروح على المنتسبين إلى حزب الأصالة والمعاصرة يصبح بالتالي هو ما الحاجة إليكم؟ ما هو دوركم ووظيفتكم؟ وإذا كان لابد من نقل النقاش إلى دائرة الحق المكفول مبدئيا لجميع المغاربة في تأسيس الأحزاب والمشاركة في الانتخابات، سيظل السؤال مطروحا بصيغة "ما هو مشروعكم؟".

على علات مرحلة التأسيس وفترة البدايات، كانت المجموعة التي أسست هذا الحزب تقدم خطابا سياسيا وتقعيدا نظريا، قد يختلف معه البعض أو يشكك في صدقه وتماسكه البعض الآخر، لكنه كان يقدم أطروحة لا تزيل عن الحزب طابع "حزب الدولة" لكنها تحوز وجاهتها وحقها في الوجود حين تقول بالاحتكام إلى الصناديق. اليوم يتجه ركاب الجرار نحو المؤتمر ولم نسمع منهم طرحا ولا مشروعا، وبالتالي نتساءل مع المتسائلين: لماذا يصلح البام؟



يونس مسكين



صارعه بنكيران وصرعه أخنوش

ال"بام".. 15 عاما من التيه



يونس مسكين

ينعقد المؤتمر الوطني الخامس لحزب الأصالة والمعاصرة في سياق العاصفة التي أدخلته فيها قضية "اسكوبار الصحراء"، بعد اعتقال اثنين من M كبار قياديه في ملف مرتبط بشبهة الاتجار في المخدرات.

هذا المعطى وحده يكفي لتسطير عنوان يتضمن علامة استفهام كبيرة حول مستقبل هذا الحزب، وما إذا كان قادرا على الاستمرار في الساحة كواحد من الفاعلين الذين هيكلوا ال15 سنة الماضية.

لا يتناقض الحزب مع طموحاته الأصلية بتصدر المشهد الانتخابي كتعبير عن إرادة الدولة التي وقعت شهادة ميلاده، بل يراكم طبقات كثيرة من الفشل، أبرزها فشله في تحقيق استراتيجية السلطة في المصالحة مع منطقة الريف.

جل القراءات المحايدة، تعيد بداية انحدار الحزب إلى العام 2016، حيث فشل في هزم حزب العدالة والتنمية في الانتخابات، رغم حصوله على دعم واضح من السلطة. وتأكد هذا الانحدار عقب "تعيين" عزيز أخنوش على رأس حزب التجمع الوطني للأحرار، حيث تأكد أن الرهان على حزب الجرار انتهى، وبات أخنوش مكلفا باللعب باسم السلطة.

يستعد حزب الأصالة والمعاصرة لعقد مؤتمره الوطني الخامس أيام 9 و10 و11 فبراير 2024، بمشاركة حوالي ثلاثة آلاف مؤتمر، جرى اختيارهم بناء على معيار عدد المنتخبين في كل جهة والنتائج التي تم تحقيقها في الانتخابات الماضية.

بمعدل مؤتمر كل أربع سنوات، ووتيرة تغيير مرتفعة في أعلى مستويات قيادته التنظيمية، أي منصب الأمين العام، يُقبل حزب الجرار على هذا الاستحقاق وهو في قلب زوبعة إعلامية، أطلقها اعتقال اثنين من كبار قياديه، واحد في جهة الشرق (عبد النبي بعيوي) وآخر في جهة الدار البيضاء (سعيد الناصري)، وبآفاق غير واضحة بخصوص القيادة التي سيفرزها المؤتمر، وإن كانت التكهنات لا تخرج عن المعسكر نفسه الذي تحالف في المؤتمر السابق، والقائم على محور الأمين العام الحالي عبد اللطيف وهبي وسيدة مراكش القوية، الوزيرة فاطمة الزهراء المنصوري.

فيما يكاد يغيب أي نقاش حول أطروحة الحزب واختياراته ورؤيته السياسية، أو ما يعكس تطلعات أعضائه والفكرة الجامعة التي يتوحدون حولها. وبينما كانت الانتخابات التشريعية الأخيرة رهانا كبيرا للحزب، على اعتبار أنه دخلها بصفة الحزب الثاني من حيث الوزن الانتخابي، والطرف الذي جلس منذ أكثر من عقد في قاعة الانتظار لبلوغ الضفة الحكومية، كما كان أمينه العام الحالي، وزير العدل عبد اللطيف وهبي قد وعد بتخليص الحزب من وصم التبعية للدولة، إلا أن ما جرى بعد الثامن من شتنبر 2021 كان مناقضا لكل ما سبقه، حيث عجز الحزب مرة أخرى عن تصدر الانتخابات، وحل ثانيا بعد حزب التجمع الوطني للأحرار، والتحق بحكومة هذا الأخير رغم أن وهبي خاض الحملة الانتخابية على أساس فكرة تمايز بل وتناقض مع حزب الحمامة، ورفض أية مشاركة معه في الحكومة في حال فوزه...اليوم وعلى خلفية أصوات داخلية خافتة تطلق على نفسها اسم الحركة التصحيحية، يفتقد المشهد السياسي المغربي ذلك التفاعل الكبير الذي رافق هذا الحزب منذ تأسيسه، سواء منه التفاعل الداخلي بين حساسيات فكرية ومذهبية ومصلحية مختلفة، أو خارجية مع حلفائه وخصومه الذين كانوا يختلفون من مرحلة إلى أخرى.

نحاول في هذا الملف الجمع بين عنصرين اثنين، الأول هو استعادة المسار الكامل لهذا الحزب، بالشكل الذي يبرز تحولاته وطريقة تدبيره لكل مرحلة من المراحل السابقة، والثاني هو محاولة قراءة واقع ومستقبل هذا الحزب من خلال محاورة مراقبين متخصصين، في محاولة لمواكبة استحقاق تنظيمي من حجم المؤتمر الوطني للحزب القابع في الصف الثاني منذ أزيد من عقد من الزمن.

بداية مشوقة

انطلق مسار هذا الحزب بمسلسل من التشويق والإثارة صيف العام 2007، عندما أنهى من يعتبر عمليا الرجل الثاني في الدولة، كل الترتيبات الأمنية والإدارية واللوجستية لتنظيم ثاني انتخابات تشريعية في عهد الملك محمد السادس. قبل أن يلقي بلاغ الديوان الملكي ب"القنبلة" التي جعلت الجميع يعيش شهورا من مفعول الصدمة، زميل الملك في المدرسة، فؤاد عالي الهمة، يستقيل من منصبه كوزير منتدب في الداخلية والملك يقبل استقالته.

أمر الرجل حينها في خرجاته الإعلامية الاستعراضية على أنه لم يخرج من الباب ليعود من النافذة، وأن "جلالة الملك" تعهد باحترام المنهجية الديمقراطية. و أن الوزير عالي الهمة، قرر العودة إلى صخور الرحامنة لخدمة المنطقة وإخراجها من التهميش. وانطلق موسم الحج إلى دائرة "مرشح سيدنا" حيث بدا من حجم وعدد "المساندين"، أن أصحاب المصالح السياسية والمادية لم يفقدوا ثقتهم واعتمادهم على مرشح من طراز خاص.

ما اعتقده البعض نهاية لم يكن سوى البداية، وسرعان ما انطلق التأسيس لما بعد انتخابات سابع شتنبر 2007 التشريعية



قياديون في حزب الأصالة والمعاصرة يتقدمهم الأمين العام عبد اللطيف وهبي

بالفريق البرلماني الذي كاد يستنزف من الأحزاب نوابها. ثم ظهرت حركة لكل الديمقراطيين عن طريق بيان كشف عن "سلسلة من المشاورات" التي لم يبدو لها أثر من قبل، وجمعت هذه الحركة السياسي بالاقتصادي و الجمعوي. فكانت طبقا دسما فتح شهية الكثيرين وسبب عسر الهضم لآخرين.

فمؤشرات الغضب الملكي على الأداء الحزبي منذ مستهل حكم محمد السادس كانت واضحة. وسرعة التحرك الميداني للمؤسسة الملكية وإمساكها بزمام المبادرة في كل مجالات التدبير السياسي والاقتصادي وحتى اليومي، كانت تزيد ضغوطها على مؤسسات حزبية جلها شاخ في مقاعد ألفت الحصول عليها كجزء من الريع السياسي.

ويكفي أن محمد السادس تساءل في خطاب العرش لسنة 2002، أي الذي سبق الانتخابات التشريعية الأولى في عهده، ماذا "عسى أن تكون قوة الأحزاب، إذا لم تنهض بدورها الفاعل، في تأطير المواطنين وتمثيلهم، ... والعمل على تعزيز سلطة الدولة، وتوفير مناخ الثقة في المؤسسات".

الانطلاقة من الرحامنة

بدا منذ اليوم الأول لانتخاب فؤاد عالي الهمة نائبا برلمانيا عن دائرة الرحامنة في تشريعيات 2007، أن الإسلاميين يتصدرون قائمة أولويات الوافد الجديد على الحقل الانتخابي، ويشغلون الحيز الأكبر في أجندته الجديدة الملفوفة بالغموض.

وبمجرد الإعلان عن اكتساح اللائحة "المستقلة" التي حملت رمز التراكتور، نتائج الانتخابات في دائرة بنجرير، وحصدها للمقاعد البرلمانية الثلاثة بتلك الدائرة، ظهر الهمة في خروج إعلامي غير مسبوق عبر القناة الثانية التي استضافته ضيفا خاصا، كي يقول إن حزب العدالة والتنمية حزب هامشي وإقصائي، ما كان ينبئ بتقاطب سياسي واضح على أساس التناقض بين المرجعية الإسلامية وما كان حزب الجرار يميل لاعتناقه من أيديولوجية يسارية "منقحة".

لكن الحزب الذي تأسس قانونيا بداية غشت 2008 سيعيش انتكاسة انتخابية مبكرة مباشرة بعد خروجه إلى الوجود، وذلك في الانتخابات التشريعية الجزئية التي أجريت صيف العام 2008، ليقدم الحزب على تحول نوعي في استراتيجيته الانتخابية، بتنازله التكتيكي على الخطاب الأيديولوجي، وتوجهه نحو استقطاب الأعيان ومحترفي اللعبة الانتخابية، ومنحهم التزكية من أجل خوض الانتخابات الجماعية.

وقد أفرز هذا التوجه اكتساح حزب الجرار للدوائر الانتخابية التي يتم فيها الاقتراع حسب النمط الفردي في الانتخابات الجماعية التي سيخوضها عام 2009. فمن بين 6015 مقعد التي فاز بها الحزب، لا يوجد سوى 648 مقعدا حازها الحزب في الدوائر التي تعتمد نمط اللائحة، أي بنسبة نجاح لا تصل إلى 15 بالمائة.

20 فبراير.. مصير محتوم

من غريب المصادفات أن المؤتمر التأسيسي لحزب الأصالة والمعاصرة، انعقد في بوزنيقة يوم 20 فبراير من العام 2009؛ وبعد عامين بالتمام والكمال، سيخرج آلاف المتظاهرين مطالبين بالإصلاح والديمقراطية، ورحيل بعض رموز هذا الحزب.

فرغم أن الإعلان عن ميلاد حزب "الأصالة والمعاصرة" كان قد تم خلال شهر غشت من سنة 2008 من خلال ابتلاع خمسة أحزاب "صغيرة"، وتحت قيادة أشخاص ينتمون إلى "حركة لكل الديمقراطيين" يتقدمهم رئيسها أحمد اخشيشن الذي التحق بحكومة عباس الفاسي مكلفا بحقيبة التعليم؛ إلا أن المؤتمر انعقد بتاريخ 20 فبراير في غياب الجزء الأكبر من تلك المكونات المندمجة، حيث كان نجيب الوزاني، الأمين العام السابق لحزب العهد المندمج، قد بلغ مراحل متقدمة في تأسيس حزب جديد. وهو المنحى الذي قرر عبد الله القادري، الكاتب العام للحزب الوطني الديمقراطي، اتباعه بعد معركة إعلامية وقضائية ضارية ضد كل من حزب الأصالة والمعاصرة ووزارة



مشهد من أحد مؤتمرات الحزب السابقة

الداخلية، من أجل الحفاظ على الوجود القانوني لحزب "المفتاح".

عقد الحزب مؤتمره "التأسيسي" بعدما أصبح مشاركا في أكبر فريق برلماني في مجلس النواب، فريق "التجمع والمعاصرة"، والذي كان يتحالف فيه كل من نواب حزب التجمع الوطني للأحرار، وأولئك الذين التحقوا بالفريق النيابي الذي تشكلت نواته من نواب "لائحة بنكيرير"، والتي حصد من خلالها فؤاد عالي الهمة ثلاثة مقاعد المخصصة لهذه الدائرة. فيما مثّلت "حركة لكل الديمقراطيين"، العمود الأساسي لحزب "التراكتور"، حيث برر قياديو الأحزاب المندمجة مسارعتهم إلى الانسحاب بهيمنة أعضاء هذه الحركة، واستفرادهم بالقرار داخل الحزب الجديد.

2009 الاكتساح الذي لم يتكرر

كانت الحملة الانتخابية لاستحقاقات 2009 الجماعية، مناسبة لعدد من الخرجات القوية للوزير المنتدب السابق في الداخلية، فؤاد عالي الهمة، والذي لم يقتصر على مواجهة الإسلاميين، بل هاجم حتى وزير الفلاحة عزيز أخنوش ومشروعه المسمى "المخطط الأخضر". كما لم تسلم وزارة الداخلية من هجمات مؤسس الأصالة والمعاصرة وزوابعه.

وحقق حزب الأصالة والمعاصرة، الاكتساح الانتخابي الذي ظلت جميع المؤشرات تدل عليه، واحتل المرتبة الأولى بين الأحزاب السياسية برسم نتائج الانتخابات الجماعية. وحاز الحزب المرتبط باسم فؤاد عالي الهمة، الوزير المنتدب السابق في الداخلية، على أكثر من 6000 مقعد جماعي، بنسبة تقارب 22 بالمائة من مجموع المقاعد المتبارى عليها، بفضل أصوات مليون و155 ألف ناخب.

اعتبر حينها الباحث محمد ضريف، أن فوز حزب الأصالة والمعاصرة ليس مفاجأ بالنظر للطريقة التي اشتغل بها الهمة، حيث ركز على العالم القروي. وقال ضريف في تصريحات للصحافة إن "الهمة وظف استراتيجية مخزنية للفوز على الخصوص في العالم القروي" مشيرا إلى أن أطروحة الباحث ريمي لوفو حول المخزن والعالم القروي، لازالت صالحة لتحليل طريقة فوز الهمة.

لم يكتف الجرار بالفوز بصدارة الانتخابات، بل تحرك مستعينا بآلة دعم واضح من السلطة، لانتزاع رئاسة مجالس المدن الكبرى، حيث كاد حزب العدالة والتنمية يجد نفسه خارج تحالف الأغلبية المشكلة لمجلس مدينة الدار البيضاء، رغم أنه تصدر نتائج الانتخابات الجماعية فيها، ورغم الاتفاق الأولي الذي توصل إليه الحزب محليا مع عمدة المدينة، محمد ساجد، فقد دخل حزب الجرار على الخط والتقى مؤسسه، قياديين في حزب الاتحاد الدستوري، بينهم الأمين العام للحزب محمد أبيض ومحمد ساجد، في جلسة مطولة، عرض خلالها الهمة تشكيل تحالف جديد للأغلبية، يستبعد إسلاميي العدالة والتنمية والتجمع الوطني للأحرار، ومنعهم من تولي تدبير أكبر مدينة في المغرب.

طموحات الحزب لم تكن بسيطة، بل كانت تعبر بوضوح عن تطلعات لتشكيل حزب الدولة بكل أبعادها. فمن الملفات الشائكة في قضية الصحراء، والدبلوماسية والمصالح الخارجية للمملكة، والقضايا الحساسة من قبيل الهجمة الرسمية على الصحافة وإشراك الجالية المغربية في أوربا في العملية السياسية... رتّب حزب الأصالة والمعاصرة الملفات الأساسية في سياسة الدولة في أجندته الخاصة، وبنى تحركاته وأنشطته التنظيمية والإعلامية والتشريعية، بناء على تلك الملفات، بتزامن مع إثارتها في الخطب الملكية أو طرحها للنقاش العام.

على سبيل المثال، وبمجرد انتهاء الملك محمد السادس من إلقاء خطابه بمناسبة ذكرى المسيرة الخضراء للعام 2009، كان الـ"بام" ينظم ندوة صحافية ليعلن خلالها استعداده لتقديم مقترح قانون حول موضوع الخيانة الذي جاء في الخطاب الملكي، ثم باشر خطوات تنظيمية لإضفاء الصبغة الجهوية على بنيانه التنظيمي، بُعيد عودة أمينه العام، محمد الشيخ بيد الله، من زيارة حزبية-دبلوماسية إلى إسبانيا، على خلفية مأزق ترحيل أمينتو حيدار من العيون إلى جزر الكناري.

فرامل الربيع العربي

لم توقف هذه الطموحات سوى موجة ثورات الربيع العربي، والتي انطلقت، للصدفة، من تونس التي كانت تمثل النموذج الذي بدا حزب الأصالة والمعاصرة كما لو يستلهم منه فكرة حزب الدولة. وجاءت مسيرات حركة عشرين فبراير وبعدها خطاب الملك في 09 مارس 2011 لتؤدي إلى تعليق المشروع وفتح صفحة إصلاح دستوري وانفتاح ديمقراطي جديد.

بعد فترة من الكمون والمراقبة، وبتاريخ 16 ماي 2011، أي اليوم الذي يؤرّخ للأعمال الإرهابية بالدار البيضاء، 16 ماي 2003، كان أعضاء المجلس الوطني لحزب الأصالة والمعاصرة يجتمعون للنظر في القنبلة غير المتوقعة التي ألقى بها إليهم مؤسس الحزب، بإعلانه استقالته من رئاسة لجنتين من لجان حزب الجرار.

الرسالة التي ذكّرت البعض ببلاغ الديوان الملكي المُعلن لخروج الهمة من وزارة الداخلية؛ أطلقت ألسنة كثير من الحانقين على المجموعة المحسوبة على مؤسس الحزب وعرّابه، الوزير المنتدب سابقا في الداخلية. وفجّرت التناقضات التي كان حضوره يذيبها كلما طفت على السطح، وبدأت فصول الحرب والتراشق بين مكونات الحزب في الظهور.

وبعدما أعلن مرارا تفكيره في تولّي التدبير الحكومي بعد انتخابات 2012 التشريعية، عاد حزب الأصالة والمعاصرة ليعلن رفضه لما أسماه رهن البلاد بالأفق الانتخابي، ووجّه في هذا السياق انتقادات لاذعة لحزب الاستقلال الذي كان يقود الأغلبية الحكومية وقتها.

بعدما ظلّ ذلك محصورا في زاوية التسريبات والشكوك والشائعات، خرجت الأحزاب "اليمينية" الأربعة "الكبرى" في المملكة، ببلاغ مشترك، تُعلن فيه تنسيقها في ما بينها وتحركها المشترك بخصوص موعد إجراء الانتخابات التشريعية المقبلة، بل ووعدت بخطوات جديدة في المستقبل. حزب الأصالة والمعاصرة وحزب التجمع الوطني للأحرار وحزب الحركة الشعبية وحزب الاتحاد الدستوري، وقّعوا جميعا على بلاغ أعقب اجتماع زعماء الهيئات الأربعة، وأكدت الأحزاب الأربعة على "الأهمية البالغة للحظة التاريخية التي تعيشها بلادنا في ظل التعاقد السياسي الجديد بين العرش والشعب"، في إشارة إلى الدستور الجديد الذي يمنح رئاسة الحكومة للحزب الأول في الانتخابات.

فصول الأزمة العاصفة التي ضربت حزب الأصالة والمعاصرة تزامنا مع "الربيع العربي"، وعمّقتها استقالة فؤاد عالي الهمة من رئاسة لجنتين كان هو من اقترح إحداثهما على أمل النجاح في تحويل "البام" إلى حزب

> **خرج الحزب من مؤتمره الاستثنائي وقد غيّر نسبة كبيرة من "جلده" السياسي**

حقيقي بانسجام تام بين مكوناته ووضوح في هويته ومشروعه السياسيين، كادت تفجّر الحزب من الداخل، حيث شهد أحد اجتماعات المكتب الوطني للحزب أواسط شهر ماي 2012، اصطدامات ومواجهات بين الأعضاء الداعين إلى عقد مؤتمر استثنائي للحزب، وهم الذين يوصفون باليساريين المقربين من الهمة، وبين باقي الأعضاء الرافضين لفكرة المؤتمر والمطالبين بالإصلاح والمراجعة من داخل هياكل الحزب.

البحث عن معسكر

جاء صدور دستور جديد صيف العام 2011، ودعوة الملك لانتخابات تشريعية مبكرة لتنفيس الوضع السياسي، ليفرمل الطموحات الانتخابية لحزب الجرار، والذي صمد أمام الأصوات التي دعت إلى حله خلال مسيرات الشارع، وقاد عملية تشكيل تحالف موسع لخوض تلك الانتخابات دون الدخول في مواجهة مباشرة مع حزب العدالة والتنمية الإسلامي.

وفيما كان حزب الحركة الشعبية، قد راهن على إقامة تكتل سياسي واسع استعدادا لخوض الانتخابات، وسارع إلى رفض مشروع قانون الانتخابات الجديد الذي حذفت منه وزارة الداخلية اتحادات الأحزاب؛ كان حزبا التجمع الوطني للأحرار والاتحاد الدستوري، في تحالف فعلي داخل البرلمان، حيث يشكلان فريقين برلمانيين في كل من مجلس النواب ومجلس المستشارين.

أما حزب الأصالة والمعاصرة، الجديد في المشهد الحزبي وقتها، والمُقبل على أول انتخابات تشريعية في تاريخيه، فكان يعتبر هذه الأحزاب الثلاثة "الأقرب" إليه سياسيا، من حيث التوجهات الليبرالية التي يميل أليها مؤسسه، كما يعتبر تقربه من هذه الأحزاب، خاصة حزب التجمع الوطني للأحرار، إحدى محطات سلوكه السياسي في السنتين الأوليين من وجوده، خاصة في لحظات اشتداد هجوم الخصوم عليه، ما جعل البعض يرى في تقرّبه هذا، محاولة للاحتماء من تلك الهجمات، والذوبان في قطب سياسي يضمن له البقاء وعدم إثارة الأعداء.

فرغم كل شيء، يبقى الـ"بام" أكبر حزب سياسي في المغرب حينها، من حيث عدد البرلمانيين وقوة التأثير. ورغم ما حملته ألاف اللافتات وردّدته الحناجر طيلة شهور أخيرة من نداءات برحيله، ودعوة بعض السياسيين إلى حلّه نظرا لطريقة تشكيله "غير العادية"، إلا أن التعيينات التي قام بها الملك وقتها في مناصب حساسة من قبيل المجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري والمجلس الدستوري، كشفت عن قدرات هذا الحزب الكبيرة في تمرير المقربين منه وقيادييه إلى مراكز المسؤولية في المملكة، مما كان يجعل قيادته لحكومة الدستور الجديد احتمالا بعيدا عن المستحيل، خاصة أنه تصدّر الانتخابات الجماعية للعام 2009 ودخوله في هذا التكتل الجديد القديم مع أحزاب "الوفاق".

أعلنت الأحزاب الأربعة حينها في بلاغ مشترك أن المغرب في حاجة إلى مؤسسات تستمد شرعيتها من مقتضيات الدستور الجديد، كترجمة لانخراط المواطنين في هذه الدينامية من خلال اختيار ممثليهم على



عبد اللطيف وهبي وفاطمة الزهراء المنصوري



مراد زبوح*: استمرار البام مرهون بالقطع مع نخب المال المشبوه

س: كيف تقيم حصيلة حزب الأصالة والمعاصرة، على مستوى الأداء السياسي وعلى مستوى التمثيلية في المؤسسات المنتخبة؟

ج: لا يمكن تحليل الوضع السياسي لحزب الأصالة والمعاصرة وأدائه بعيدا عن ظروف نشأته، التي لم تكن عادية، إذ ما لبثت "حركة لكل الديمقراطيين"، أن تشكلت بعدد محدود من الشخصيات السياسية اليبرالية واليسارية، بقيادة فؤاد علي الهمة حتى تحولت بعد فوزه في الانتخابات البرلمانية لسنة 2007 إلى حزب سياسي التهم خمس أحزاب صغيرة سنة 2008.

أصبح "البام"، أول حزب في التاريخ المعاصر، يملك فريقا نيابيا مكونا من 45 برلمانيا رغم عدم دخوله غمار الانتخابات، وكان عبارة عن خليط من الأعيان ورجال المال والأعمال الذين قرروا مغادرة أحزابهم والانضمام إلى ما سمي بـ"الوافد الجديد"، الذي استطاع سنة 2009 تحقيق المرتبة الأولى من حيث عدد المنتخبين في المجالس المحلية، وترأس بذلك أغلب مجالس الجهات في انتخابات اتهم فيها الحزب بدعم السلطة.

ظل حزب الأصالة والمعاصرة، في نظر الكثيرين يعبر عن استمرار حاجة الدولة للأحزاب الإدارية التي كانت ولا تزال ممارسة سياسية يتميز بها المشهد السياسي في بلادنا، بحيث يقوم مقربون من مصادر القرار بتشكيل أحزاب لا يكون هدفها تحقيق أداء سياسي مستقل عن برنامج الدولة، بل يتبناه. وحتى حين طرح على "البام" سؤال الهوية والإيديولوجية، ما كان عليه إلا تبني تقرير الخمسينية وتوصيات الإنصاف والمصالحة.

س: يقال إنه حزب وُجد ليحكم لكنه انتظر طويلا؟

ج: لقد كان في البداية حزبا مساندا للحكومة ثم انتقل إلى المعارضة، ومعارضته ستتصاعد بعد قيادة حزب العدالة والتنمية للحكومة 2011 إثر فشله الذريع في الحصول على المرتبة الأولى.

وشكلت نخبه الانتخابية استمرار للأعيان ورجال الأعمال الذين استفاد عدد منهم من شبكات علاقات الحزب ليشكلوا إمبراطوريات من المال والأعمال والنفوذ والاستفادة من حاجة داخلية وخارجية لقوة تكبح تعاظم نفوذ الإسلاميين وما "يبعثونه" من توجس وريبة يبدو الآن أنه لم يكن مبررا.

ورغم تمكنه من كبح جماح الاسلاميين سنة 2016، إلا أنه لم يستطيع حرمانهم من ولاية ثانية، وإن كان قد نجح مع حلفائه في وضع حد لتجربة بنكيران من خلال عرقلة تشكل الأغلبية.

قد يكون هذا أكبر إنجاز حققه الحزب، بعدها سيتحول مع انتخاب عبد اللطيف وهبي، بداية 2020، إلى حزب يحاول أن يتجاوز خطاب القطيعة مع الإسلاميين مع انخفاض منسوب في الشعور بالدعم وسحب البساط من تحته، لفائدة حزب الأحرار الذي يبدو أنه سرق منه في النهاية حلم الفوز برئاسة الحكومة بعد الانحدار المفاجئ للإسلاميين في الانتخابات التشريعية والجماعية لسنة 2021.

تواجد أعضائه في الجماعات الترابية، شكل بالنسبة للبام وسيلة لتنمية الرصيد الانتخابي، إذ من خلال حسمه لرئاسة العديد من الجهات، امتلك ورقة انتخابية مهمة، خاصة في السنة الانتخابية، حيث أن العديد من الجماعات الواقعة في نفوذ الجهة تستفيد من تدخلات الجهة سواء تعلق الأمر بفتح المسالك والطرقات، أو بالدعم الذي منح في أشكال مختلفة، كدعم الجمعيات والتعاونيات.

"سلوك البام" هذا بقدر ما كان بالنسبة للعديد من المنتخبين دافعا لانجذابهم وانخراطهم في هذه التجربة "الجارفة"، بقدر ما انعكس سلبا على صورته، إذ اعتبره بعض الفاعلين والمثقفين تهديدا للتعددية، وخطرا على الديمقراطية الهشة، وتحكم في البلد.

س: في تقديرك كيف يمكن للأداء السياسي لحزب البام أن يتأثر بعد اعتقال بعض قياداته؟

ج: لا يمكن إنكار أننا أمام زلزال سياسي لم ينته بعد، إذ أن استمرار هزاته الارتدادية يؤشر على زلزال أكبر.

وفي تقديري فإن الحزب يحمي حاليا الخسائر التي حاول التنرؤ منها، عبر بلاغ رئيسة المجلس الوطني.

وفي ظل هذه الخسائر، أعتقد أن أداء الحزب سيضعف لصالح الأحرار في جهة الشرق فقط، أما الدار البيضاء الكبرى، فيمكن للحزب استقطاب "لاعبين" جدد والاستمرار كقوة ثانية في الانتخابات القادمة، خاصة أمام انهيار حزب العدالة والتنمية والمشاكل التنظيمية المعقدة لحزب الاستقلال، الذي لم يعقد مؤتمره الوطني حتى الآن رغم انصرام الآجال القانونية.

البام اليوم ليس قويا، بقدر ما يستفيد من ضعف خصومه وحتى منافسيه، واعتقال قياداته بسبب ملف المخدرات، لا يجعل منافسيه أفضل حالا منه، في ظل وجود عدد من قياداتهم ونوابهم البرلمانيون المعزولين والمدانين من أجل جرائم اختلاس وتبديد المال العام.

س: طالب أخيرا العاهل المغربي بمدونة أخلاقيات في البرلمان تكون ملزمة من الناحية القانونية. بناء على قراءتك كيف سيؤثر ذلك على حضور الحزب في هذه المؤسسة؟

ج: لقد دعا العاهل المغربي في افتتاح السنة التشريعية في 12 أكتوبر 2012، إلى مدونة أخلاقيات، قوامها التحلي بما يلزم العمل النبيل للبرلمانيين، قصد التجاوب مع انتظارات الأمة ومتطلبات الدستور الجديد، من خلال بلورة مُدونة أخلاقية ذات بُعد قانوني تقوم على ترسيخ القيم الوطنية والمسؤولية والنزاهة، والعمل لفائدة الصالح العام.

لتتجدد نفس الدعوة وبشكل أكثر حزما، في الرسالة الموجهة إلى المشاركين في الندوة الوطنية المنعقدة تخليدا للذكرى الستين لقيام أول برلمان منتخب في المملكة، التي انطلقت أشغالها الأربعاء 17 يناير 2024 بالرباط. من خلال ضرورة تغليب المصالح العليا للوطن والمواطنين على غيرها من الحسابات الحزبية، وتخليق الحياة البرلمانية من خلال إقرار مدونة للأخلاقيات في المؤسسة التشريعية بمجلسيها، تكون ذات طابع قانوني ملزم.

ملف "اسكوبار الصحراء"، وتورط أحد البرلمانيين فيه، قد يكون النقطة التي أفاضت الكأس، والتي قد تعجل بصدور المدونة، بعد سنوات من عجز المؤسسة التشريعية في التجاوب مع طموح عاهل البلاد في برلمان نزيه يخدم الصالح العام ويمارس ما أسماه بـ"العمل النبيل".

لا يمكن لهذه المدونة أن تكون ذات فاعلية فقط في

> **رغم تمكنه من كبح جماح الاسلاميين إلا أنه لم يستطع حرمانهم من ولاية ثانية**

ارتباطها بالمؤسسة البرلمانية بغرفتيها، بل يجب أن تمتد إلى عمل الأحزاب في اختيارها لمرشحيها والتي دعاها الملك في رسالته إلى العمل على الرفع من جودة النخب البرلمانية والمنتخبة، وتعزيز ولوج النساء والشباب بشكل أكبر إلى المؤسسات التمثيلية.

وهنا سيبقى على حزب البام وغيره استشراف المستقبل الذي يؤكد فيه عاهل البلاد على أن البرلمان اليوم حقق نضجا كبيرا على مستوى الاختصاصات وممارستها. ما يجعل من تخليقه بمدونة ملزمة قانونيا أن تقطع الطريق على ناهبي المال العام وتجار المخدرات وغسيل الأموال اولوية اليوم، وبالتالي استمرار البام وغيره من الأحزاب المشاركة في الانتخابات مرهون بالقطع مع نخب المال المشبوه، وهو يعني جيد أن الحاجة من وجوده قد تحققت وأن استمراره بنفس اللاعبين يشكل ضررا بليغا للمشهد السياسي.

وحتى من كان يعتقد أن انخراطه في الحزب وتسلق المناصب عبره، يشكل حصانة ضد المحاسبة، فالمحاكمات الجارية ليس في الدار البيضاء فقط، بل في جل محاكم جرائم الأموال بالمغرب، تؤكد عكس ذلك.

س: على ضوء كل هذا، كيف تنظر إلى مستقبل البام؟

مستقبل البام في ظل هذا المشهد السياسي لا يختلف كثيراً عن حلفائه الذين اختاروا مجاراته في أسلوبه السياسي في تزكية أصحاب "الشكارة"، حتى أنك تجد برلمانيين ترشحوا في دوائرهم في كل ولاية بحزب جديد، وأصبح الحصول على التزكية الحزبية أسهل من أي شيء آخر.

الحزب يمكن أن يطرد جميع أعضائه في الإقليم أو الدائرة الانتخابية، ليضمن مرشحا قادرا على صرف ما يصل إلى عشرين مليون درهم في بعض الدوائر وأكثر للحصول على المقعد. وهي ممارسة يبدو أن الحاجة إليها انتهت بالانهيار السريع لحزب العدالة والتنمية ولربما لتكلفتها السياسية والأمنية والاقتصادية وحتى الأخلاقية.

مستقبل البام مرتبط بتطوير وتحديث آلياته، وتجديد نخبه والتي من المؤكد أن من ضمنها عدد كبير من المشاريع الشريفة كمرشحين التي يمكنها أن تعكس إرادة الوطن التي عبر عنها عاهل البلاد بمدونة أخلاقية سياسية، تقطع مع حياد السلطة السلبي خلال أيام الحملات الانتخابية وقبلها وبعدها سواء اتجاه المرشحين أو حتى الناخبين.

*محام وباحث في القانون

قاعدة المحاسبة والمساءلة، "مما يستوجب الرفع من وتيرة الإصلاحات وتحديد جدولة واضحة ومضبوطة لاعتماد القوانين وتاريخ انعقاد الدورة الاستثنائية لمجلس النواب وإجراء الاستحقاقات اللازمة في أجل أقصاه متم شهر أكتوبر 2011 مع توفير الضمانات الضرورية لنزاهتها وشفافيتها وتحصينها من كل مخاطر الفساد والإفساد"، ما يُعتبر موقفا موجها ضد الاحزاب الرافضة لإجراء الانتخابات في أقرب الآجال، والداعية إلى القيام بالتحضيرات القانونية والسياسية الضرورية قبل تنظيم الانتخابات، وعلى رأسها حزب العدالة والتنمية.

الانحناء للعاصفة

بعد حسم هذا الصراع لفائدة خيار الانتخابات المبكرة، كشف حزب الأصالة والمعاصرة، عن اللائحة شبه النهائية لمرشحيه برسم الانتخابات التشريعية لـ25 نونبر 2011، والتي جاءت حاملة لمؤشرات تفيد عدم سعي الجرار لاكتساح هذه الانتخابات.

فسبعون بالمائة من مرشحي الحزب لتلك لانتخابات لم يسبق لهم أن كانوا برلمانيين، أي ليسوا من محترفي العمل الانتخابي. فيما أوضح حكيم بنشماس، نائب الأمين العام للحزب وقتها، أن 29 برلمانيا فقط من النواب المنتمين لحزب الجرار، تمت تزكيتهم كوكلاء للوائح الملحية، موضّحا أن الذين لم تتم تزكيتهم، ويقارب عددهم مجموع الذين جدد لهم الجداد ثقته، ينقسمون إلى ثلاثة فئات.

الفئة الأولى هي لبرلمانيين قرّروا بتلقائية عدم الترشّح مجددا للانتخابات "لاستيعابهم مغزى التحولات الجارية"، وفئة ثانية تضم برلمانيين وجدوا أنفسهم في دوائر تضم أكثر من برلماني واحد في صفوف الحزب، فتمت "التضحية" بهم، وفئة ثالثة هي لبرلمانيين "تبين بعد فحص كل المعطيات أنهم لا يتوفرون على المعايير والمواصفات الضرورية".

فيما لم يغطي الحزب الذي تصدّر الانتخابات الجماعية للعام 2009، كامل الدوائر الانتخابية الـ92، واكتفى بتغطية 85 منها، أي ما يناهز 90 في المائة. وهو ما نفى الأمين العام للحزب، محمد الشيخ بيد الله، في ندوة صحافية أن يكون تعبيرا عن تحجيم ذاتي يقوم به الحزب حتى لا يكتسح الانتخابات، معتبرا أن الأمر يتعلّق بدوائر تم فيها التنسيق مع الحلفاء، وقبل الحزب دعم مرشحي حلفائه فيها.

وقبل أن تنتهي سنة 2011 ويستكمل الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، عبد الاله بنكيران، تشكيل أغلبيته الحكومية بعدما عينه الملك رئيسا للحكومة ومكلفا بتشكيلها. جاء تعيين فؤاد عالي الهمة، مستشارا ملكيا جديدا، ليفتح باب التوقّعات والقراءات لمستقبل المشهد السياسي، وطبيعة العلاقة التي ستربط بين حكومة يقودها الإسلامي عبد الإله بنكيران وديوان

ملكي يشغل أحد مكاتبه عالي الهمة، الخصم التاريخي لـ"الإخوان المسلمين" المغاربة.

دخل حزب الجرار إثر ذلك في مخاض عسير للتأقلم مع وضعه الجديد وفي غياب مؤسسه. وفي ندوة عقدها في 2012 بقصر مؤتمرات الصخيرات بمناسبة الذكرى الرابعة لتأسيسه قال رجل الظل حينها والمقرب من الهمة، إلياس العماري، إنه ومنذ العام 1956 وإلى غاية 1972، ساد الاستبداد والجوع، "ثم مات أوفقير أو قُتل، فهل جاءت الديمقراطية وذهب الجوع؟ في 1983 قالوا إن الدليمي هو المسؤول، وبعده في 1993 قالوا البصري هو المسؤول، والآن يقولون دارها إلياس العماري والهمة، وبعد سنوات سيقولون دارها بنكيران وباها... من له مصلحة في شخصنة الصراع؟"، يقول الرجل الذي انتظر الكل تدخّله بعيد إفطار جماعي افتتح الندوة الوطنية الأولى حول التنظيم.

إن "تأسيس الـ"بام" جاء في إطار سيرورة تاريخية، ومن اعتقد أنه ظاهرة ستزول هو واهم، بل هو قضية جاءت نتيجة مسلسل من التراكمات وتعبيرا عن ضرورة موضوعية.. ما عمرو كان بديل بل كان جوابا موضوعيا" يقول إلياس العماري في لقاء الصخيرات.

حقّق حزب الأصالة والمعاصرة بعد ذلك خطوة كبيرة في طريق الانسلاخ من صورته السابقة، وانتخب مجلسه الوطني في دورته الأولى بعد المؤتمر الاستثنائي الذي انعقد في فبراير 2012، أعضاء المكتب السياسي الذي سيعمل إلى جانب الأمين العام الجديد مصطفى بكوري.

صعود اليساريين

تميّزت لائحة الأعضاء الجدد للجهاز التنفيذي لحزب الجرار، بتجديد شبه شامل وحضور قوي للنساء والشباب والمحسوبين على تيار "اليساريين" وعدد كبير من المنحدرين من منطقة الريف شمال المغرب، مقابل خسارة فادحة لما يُعرف باليمينيين أو الأعيان. وتطلّب الوضع الذي اتسم بتوتّر وصراعات محمومة من أجل الظفر بعضوية المكتب السياسي،

> **لم يقتصر الهمة على مواجهة الإسلاميين بل هاجم حتى وزير الفلاحة عزيز أخنوش**

الاستعانة بخدمات الرجل المعروف بقوته وكاريزميته داخل الحزب، إلياس العماري.

وإذا كانت محطة المؤتمر الاستثنائي قد عرفت صعودا كاسحا لريفي آخر هو حكيم بنشماس، والذي لولا توافقات الكواليس لكان أمينا عاما لحزب الجرار، فإن الذكرى الرابعة لتأسيس الحزب عرفت ظهور وجوه جديدة، يتقدمها رئيس الفريق البرلماني للحزب بمجلس النواب، عبد اللطيف وهبي.

خرج الحزب من مؤتمره الاستثنائي وقد غيّر نسبة كبيرة من "جلده" السياسي، حيث أصبح في واجهته "زعيم" لم يسبق له أن دخل في أي من مواجهات ومعارك هذا الحزب الاستثنائي، ويعوّل عليه الحزب لتجديد صورته وتخليصها من تبعات المرحلة الماضية. مصدر من القيادة السابقة للحزب، قال إن "انتخاب بنشماس رئيسا للمجلس الوطني، وبكوري أمينا عاما، كان الحل الأخير الذي جُنّبنا تفجير المؤتمر"، فرغم قبول بنشماس التنازل عن ترشيح نفسه لمنافسة بكوري، يضيف المصدر نفسه، "إلا أن الخلاف كان يتأجج حول تشكيلة المكتب السياسي الجديد، حيث كان اليساريون من مؤيدي بنشماس يتشبثون بتمثيلية كبيرة فيه، مقابل التنازل عن الأمانة العامة، وهو ما كان يهدد بإنتاج حالة صعبة من التعايش بين الأمين العام في جهة والمكتب السياسي في جهة أخرى".

مرحلة توازن الرعب

مع خروج مؤسس الحزب، فؤاد عالي الهمة، من قمرة القيادة، كانت شخصية أإلياس العماري تصعد تدريجيا لتتصدر المشهد. "البام هو إلياس وإلياس هو البام"، يقول مصدر عرف كواليس الحزب وقتها، مضيفا أنه "ورغم كونه في البداية كان مجرّد رقم ضمن أرقام أخرى في معادلة مفتاحها الهمة، إلا أن موقعه ظل استثنائيا. فهو الذي جلب، أو على الأقل عبأ وجوها يسارية مثل صلاح الوديع وحسن بنعدي والحبيب بلكوش، وهو من أقنع نجيب الوزاني بالالتحاق بفريق الأصالة والمعاصرة ورئاسته في وقت لم يكن حزب البام قد تأسس فيه، وهو نفسه من سيعود لـ"يجبره" على مغادرة السفينة، وهو نفسه الرجل البخيل والذي يتصرّف في الوقت نفسه في أرقام فلكية بالملايير، وينظم مؤتمرات الحزب الوطنية والجهوية من "شكارة" أعيان ونافذين لا يرفضون له أمرا"، يقول مصدر آخر.

أخذت صورة الرجل مسارا مستقيما من البروز والصعود إلى الواجهة منذ تأسيس حزب الجرار. "كان في البداية يكتفي بالكواليس وتحضير القرارات واللوائح وتدبير مالية الحزب، لكن خلافاته وصراعه مع الأمناء العامين السابقين، خاصة الشيخ بيد الله، سرّعت وتيرة خروجه إلى العلن"، يقول أحد المصادر من داخل قمرة قيادة الجرار.

تعاظم حضور العماري في كواليس حزب الجرار كان يعني بالضرورة تأجيج المواجهة مع الأسلاميين. وبلغت الحرب المباشرة المفتوحة بين العماري وبنكيران، أوجها بعيد اندلاع شرارة الثورات العربية في كل من تونس ومصر، بتبادلهما الاتهام بالسعي إلى اغتيال الآخر.

وفي مؤتمر بوزنيقة الذي انعقد في فبراير 2012، أي سنة واحدة بعد انطلاق الحراك الشعبي الذي رفع صور إلياس العماري وطالبه بالرحيل، كانت لحظة خروجه الرسمي إلى العلن والتدبير المباشر لحزب أسسه رجل عاد إلى الديوان الملكي كمستشار ممنوع من الخوض في الشأن الحزبي والانتماء إليه.

استمرّ التنافس حينها إلى اليوم الأخير قبل موعد المؤتمر، بين ثلاثة مرشحين كبار لخلافة محمد الشيخ بيد الله على رأس الحزب، وهم كل من مصطفى الباكوري، المدير العام السابق لصندوق الإيداع والتدبير، ثم حكيم بنشماس، نائب الأمين العام ورئيس الفريق

البرلماني للحزب بمجلس المستشارين، وأحد الوجوه "اليسارية" البارزة على متن الجرار. فيما المرشح الثالث هو احمد اخشيشن، أحد مؤسسي حركة لكل الديمقراطيين، ووزير التربية الوطنية في حكومة عباس الفاسي.

مرحلة إلياس العماري

بعد عودة حزب العدالة والتنمية إلى اكتساح الانتخابات المحلية لـ2015، وإصرار بنكيران على الاستمرار كحارس لمصباح الاسلاميين، خرج إلى الأضواء رجل الظل، إلياس العماري، في إحياء للنزال الذي أجله الربيع العربي بين الإسلاميين و"حزب الدولة". انتخب العماري أمينا عاما لحزب الجرار في يناير 2016، وأعين الجميع على الانتخابات التشريعية لتلك السنة، والتي سيفوز بها حزب المصباح مستفيدا من تقاطب حاد برز فيه نجم زعيمه بنكيران بشكل كبير، ليكون رابع أمين عام لحزب الجرار، إلياس العماري، أسرعهم سقوطا، حيث أعلن "استقالته" صيف السنة الموالية.

خطوة اعتبرها المحلل السياسي مصطفى السحيمي وقتها، إعلانا لفشل رجل لكن أيضا فشل حزب. "الأصالة والمعاصرة وقف على هذه الخلاصة عقب انتخابات 7 أكتوبر 2016. صحيح أنه ضاعف عدد مقاعده البرلمانية، وانتقل من 16 إلى 102 نائب، لكنه حلّ ثانيا وبفارق كبير عن خصمه حزب العدالة والتنمية الذي حسن نتائجه الانتخابية بدوره وانتقل من 107 إلى 125 مقعد" يقول السحيمي، مضيفا أن فشل الأصالة والمعاصرة تجسّد أيضا في التحول الكبير الذي عاشه حزب التجمع الوطني للأحرار ابتداء من 12 أكتوبر 2016، حين تم إسقاط عزيز أخنوش بالمظلة كرئيس بالنيابة للحزب، قبل أن يكرّس في هذا المنصب في مؤتمر استثنائي يوم 29 أكتوبر 2021.

اعتبر السحيمي وقتها أن ذلك يعني أن حزب التجمع الوطني للأحرار سيعوّض حزب الأصالة والمعاصرة في مواجهته لحزب العدالة والتنمية وبنكيران، وأنه هو من سيعمل على تأطير ومحاصرة هذا الحزب الإسلامي إلى أقصى الحدود في أفق الوصول إلى أغلبية جديدة. وهو ما حصل بالفعل بتشكيل حكومة سعد الدين العثماني.

ثم جاء مظهر آخر لفشل حزب الأصالة والمعاصرة، يتمثل في أحداث الحسيمة. فهذا الحزب، وتحديدا زعيمه إلياس العماري عملا جاهدين لتهدئة الريف ولعب دور الوساطة مع ساكنة هذه المنطقة. لكن الاحتجاجات بقيادة ناصر الزفزافي استمرت، ما جعل حزب الأصالة والمعاصرة يبدو كجسم ميت وحزب بتمثيلية كبيرة عدديا لكنها بقيمة شبه منعدمة.



إلياس العماري أمين عام سابق لحزب الأصالة والمعاصرة

الجمود الذي يسبق العاصفة

استمرت وضعية الجمود بعد إعلان العماري استقالته حتى منتصف العام 2018، حين اجتمع المجلس الوطني للحزب أخيرا وصوت على عب الحكيم بنشماس أمينا عاما بدلا من العماري. هذا الأخير الذي كان رئيسا لمجلس المستشارين، كان مطالبا ب"تصريف" الأعمال في انتظار حلول الموعد القانوني للمؤتمر، لكن الطريق لم تكن سهلة، حيث فجّر اقتراب هذا الموعد تناقضات داخلية حادة، تطلبت اللجوء إلى القضاء لحسم الترتيبات التنظيمية.

اختلف تفسير المحللين لأزمة، حسب زوايا النظر. فهناك تفسير رائج مفاده أن الأزمة نتجت عن "طبيعة النشأة"، بمعنى أن الأزمة ليست عارضة بل أصلية، يحملها الحزب في أحشائه، وظلت أعراضها تتنوع وتتعدد في كل المحطات التي مرّ منها، وأكبر مؤشر على ذلك أن معدل استقرار مؤسسة الأمين العام لا تتعدى سنتين (5 أمناء عامين خلال 10 سنوات).

لكن هناك تفسير ثان يذهب إلى أن أزمة "البام" تلك سببها الرئيس تخلي السلطة عنه، لأنه فشل في المهام الأصلية التي وُكل بها. ومفاد هذا التفسير أن "البام" أنشئ ليس من أجل تحجيم حزب العدالة والتنمية فقط، بل ليكون ضابط إيقاع Regulateur للمشهد الحزبي، علما أن وزارة الداخلية من ظلّت تلعب هذا الدور.

لقد تأسس حزب "البام" بهدف رئيسي، ضمن أهداف أخرى طبعا، ليكون قناة لإدماج النخب الريفية، وأساسا الحسيمة، ضمن مؤسسات الدولة، وبالتالي استيعاب تلك النخب في إطار استراتيجي أكبر هدفه تعزيز الوحدة الوطنية للمغاربة، بعد عقود من التهميش والعزلة التي عانى منها سكان المنطقة في عهد الملك الراحل. ولهذا يلاحظ أن عملية الاستيعاب والإدماج تنوعت، إداريا واقتصاديا وسياسيا، وقد كان المطلوب من قيادة "البام"، وخصوصا نخبه الريفية، أن تساعد في توطيد عملية الإدماج والاستيعاب تلك، مقابل منافع ومواقع في السلطة طبعا، لكن يبدو أن إلياس العماري لم ينجح في

ذلك.

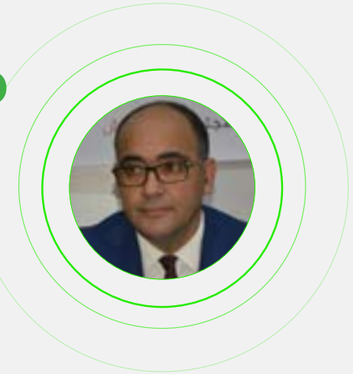
السقوط الكبير في 2016

فشل العماري هذا لم يكن الوحيد، بل أن فشله الأول يتعلق بعجزه، رغم الإمكانات الهائلة التي وضعت بين يديه، عن تصدر المشهد الحزبي في انتخابات 7 أكتوبر 2016، وإلحاق الهزيمة بحزب العدالة والتنمية كما وعد صراحة بذلك، ورغم أنه حاول الاستدراك، من خلال تجميع قوى حزبية في مواجهة رئيس الحكومة السابق، عبد الإله بنكيران، بهدف إفشال مهمته في تشكيل حكومته، إلا أن اصطدامه بحميد شباط الأمين العام لحزب الاستقلال وقتها قد أدى إلى فشل مناورته الأخيرة كذلك، ما أحرج السلطة ودفعها إلى التدخل بطريقة أخرى، أي الدفع برجل الأعمال ووزير الفلاحة والصيد البحري، عزيز أخنوش، للقيام بنفس المهمة، بعدما وضعته على رأس حزب الأحرار.

ثم جاء الملف الثاني الذي فشل فيه إلياس العماري وأدى إلى رحيله، أي حراك الريف، الذي اندلع في الحسيمة على إثر حدث وفاة مفجعة لبائع السمك محسن فكري يوم 28 أكتوبر 2016، وهي المنطقة التي يُديرها حزب البام منذ 2009، وقد حاول العماري اللعب على حدث الوفاة المفجع، من خلال دعوة أعضاء حزبه وأنصاره إلى التظاهر ضد الحكومة، لكن يبدو أن قرارا حاسما أردعه عن ذلك، وسرّع رحيله عن "البام"، بعد تردد، في صيف 2017، وهي الخطوة التي فتحت الباب أمام صراع داخلي بين طرفين؛ الأول يمثله الأمين العام حينها، إلياس العماري، والثاني تمثله فاطمة الزهراء المنصوري، رئيسة المجلس الوطني، ومعها عبد اللطيف وهبي.

أسباب الخلاف، وبالتالي الأزمة، منها ما هو معلن ومنها ما هو مسكوت عنه، في الظاهر يبدو الخلاف حول

محمد الغالي*: الحزب فقد جزءا من مهابته والاتجاه البورجوازي النفعي هيمن عليه



س: ماهي الإضافة التي حققها حزب الأصالة والمعاصرة للمشهد السياسي المغربي بعد حوالي 15 سنة من تأسيسه؟

ج: لقد شكل تأسيس "حركة لكل الديمقراطيين" لحظة تاريخية بامتياز وخريطة طريق أساسية في مسار تأسيس حزب سياسي، بإضافة جديدة تكمن في تحقيق توليفة بين اتجاهات أيديولوجية متنوعة ومتباينة، من حيث رصيدها الإيديولوجي الذي كان يحكمها وفي مختلف تمظهراته اليسارية أو وسط اليسار، أو اليمينية أو وسط اليمين أو نخب معروفة بتمظهراتها التقليدية أو التقليدانية، خاصة على مستوى فئة الأعيان، مما يعني أن حزب الأصالة والمعاصرة حاول تأسيس قاعدة سياسية بناء على قواعد ايديولوجية تقوم على منطق مصلحي أكثر براغماتية في المستويات الاقتصادية والاجتماعية.

ويمكن القول بأن حزب الأصالة والمعاصرة شكل ميلاده نقطة انعطاف حاسمة في خلخلة مجموعة من التوازنات السياسية، التي كانت تؤمن خاصة بقدر الوضع على ما هو عليه Statuquo وحدثا أفزع باقي المكونات السياسية، وذلك اعتبارا لطبيعة النخب، التي استطاع استقطابها من دوائر قرارية ليست بالعادية.

س: هل ترون أن حزب الأصالة والمعاصرة صار حزبا عاديا إذا ما استحضرنا طبيعة تأسيسه، وهل كانت له إسهامات إيجابية؟

ج: اعتقد في المجمل أن حزب الأصالة والمعاصرة مقارنة باللحظة المولدة لتأسيسه، قد فقد جزءا مهما من مهابته الأولى لاعتبارات تعلقت بتحولات جيوسياسية، واعتبارات تعلقت بخفوت حماس نخبة من مؤسسيه، أو انسحاب أخرى، وبزوغ هيمنة الاتجاه الليبرالي، البورجوازي النفعي، الذي شكلت هيمنته عاملا أساسيا في توارى خطاب جزء مهم من نخبه، خاصة ذات التوجهات اليسارية المحافظة. حيث خرج جزء منها ببيانات حقيقة تنتقد انحرافات ومآلات الحزب عن المرجعية الخلفية المؤسسة له، وهو ما جعل النظر إلى الحزب يتم باعتباره حزبا عاديا لم يستطع إنتاج نخب جديدة تحمل العلامة السياسية للحزب، بل اقتصار الحزب على استقطاب النخب السياسية المنتمية إلى مجموعة من الأحزاب التقليدية اليسارية أو اليمينية. كل هذا ولد لوما وعتابا للحزب كحزب مستهلك لنخب موجودة سابقا، ومحدودية دوره في إنتاج نخب حقيقية بشكل يعكس ولادتها الطبيعية وليس ولادة يغلب فيها منطق الولاءات الخارجة عن المسار الطبيعي لتأسيس الحزب.

س: ما مستقبل الحزب في ظل الصراعات الداخلية وصراعاته السياسية مع بعض الفرقاء السياسيين؟

ج: أعتقد بأنه بالنظر إلى الحصيلتين التنظيمية والسياسية بأن الحزب في حاجة إلى إعادة بناء توافقاته الداخلية على أساس أرضية مشتركة، تعيد الاعتبار للحظة التاريخية لتأسيس الحزب ولنخبه الأصيلة الأولى، التي شاركت في فعل التأسيس.

فتحقيق حد أدنى من التوافق الداخلي يبقى هو صمام الأمان الضامن لوقف نزيف داخلي عرفه الحزب خلال بعض من فتراته، وبالتالي التحكم في مجموعة من الصراعات الداخلية، التي بإمكانها أن تساعد الحزب وقياداته على تحقيق نوع من التركيز على هيكلته التنظيمية الداخلية، وجعله أكثر أمانا وثقة مع نظرائه من الأحزاب الأخرى.

من المخاطر الكبرى التي تهدد مستقبل الحزب، عدم قيام القيادة الحالية بما يلزم من الإجراءات المتخذة، التي تساعد على إزالة صورة نمطية باتت تترسخ، مفادها أن حزب الأصالة والمعاصرة لم يكن موفقا في خطته التنظيمية من خلق القيمة المضافة السياسية، التي تجعل منه حزبا خلاقا مبدعا في التأسيس لنسق سياسي منفتح ومتحرر من الأبوية السياسية، وقادر على خلق التميز السياسي على مستوى انتاج نخب جديدة وإنتاج تقاليد سياسية متحررة من الريع، وإنتاج خطط وبرامج بتصورات متقدمة وأكثر فعالية ونجاعة ...

*أستاذ العلوم السياسية، عميد كلية العلوم القانونية بقلعة السراغنة

الخط السياسي. تصوّر عبد اللطيف وهبي أن رحيل إلياس العماري يقتضي أن يتخلى معه الحزب عن خطه السياسي السابق، أي الكف عن معاداة حزب العدالة والتنمية، وعن لعب دور حزب السلطة، وبالتالي التحول إلى حزب طبيعي في المشهد السياسي مثل بقية الأحزاب السياسية.

اعتبر وهبي أن المدخل إلى ذلك هو المصالحة مع "البيجيدي"، لأن معاداة "البام" للحزب الإسلامي تعود عليه دائما بالخسارة، لصالح أحزاب أخرى، وفي مقدمتها حزب التجمع الوطني للأحرار. بالمقابل، يرى حكيم بنشماس وعديد القيادات التي تقف في صفه عدم التخلي عن الخط السياسي الذي تأسس من أجله الحزب أول مرة، أي معاداة الإسلام السياسي، ولعب دور حزب السلطة من خلال الدفاع عن سياسات النظام أمام سياسات الحكومة وخصوصا توجهات وخيارات حزب العدالة والتنمية، والدفاع عما يسميه بنشماس "قيم العهد الجديد"، ومنها تامغربيت.

برز هذا الخلاف في عهد إلياس العماري، إلا أن رحيل هذا الأخير دون إرادته، دفع طرفي الخلاف؛ إلى التوافق حول خارطة طريق لإنقاذ الحزب من الأزمة، وهو ما جرى الاتفاق عليه في مطلع سنة 2018، وكان الأرضية التي مهدت لانتخاب حكيم بنشماس في ماي 2018 في المجلس الوطني للحزب، وانتخاب مكتب سياسي يمثل القوى والحساباتالتي تتوفر على امتدادات في الجسد التنظيمي للحزب.

لكن سرعان ما اندلع الخلاف، مرة أخرى، بين وهبي وبنشماس، بسبب التباين في المواقف السياسية التي يدافع عنها كل طرف، تجلى في إقالة بعض القيادات، وتجميد عضوية أخرى، ثم تطور بشكل أكثر حدة نحو تبادل الاتهامات بشأن أموال الانتخابات، أو أموال الفريق البرلماني في الغرفة الثانية.

بنشماس الدونكيشوتي



عبد الحكيم بشماس أمين عام سابق لحزب الأصالة والمعاصرة

في 18 ماي 2018، تقرر عقد اجتماع لانتخاب لجنة تحضيرية توافقية، لكن في ذلك الاجتماع تفجرت الخلافات، وحدث الانقسام حول انتخاب اللجنة، بحيث خرج الحزب منه منقسما بين توجهين: توجه يقوده الأمين العام حكيم بشماس، وتوجه ثان يتزعمه عبد اللطيف وهبي ومسنود من قبل رئيسة المجلس الوطني فاطمة الزهراء المنصوري، حيث تشبث التوجه الأخير بشرعية جلسة انتخاب سمير كودار رئيسا للجنة التحضيرية، في حين رفض بشماس وصحبه نتيجة الانتخاب في تلك الجلسة، التي جرى الطعن فيها لاحقا أمام القضاء.

كان أول إجراء اتخذه بشماس طرد سمير كودار من الحزب، ورفع دعوى استعجالية، لإلغاء اجتماع لها في أكادير كان مقررا في يونيو 2019، لكن المحكمة رفضت طلب الأمين العام فاستمرت اللجنة التحضيرية في عقد اللقاءات.

لم يستسلم بشماس ورفع دعوى أخرى في الرباط معتبرا أن اللجنة التي يرأسها كودار، "غير قانونية"، وأن انتخاب اللجنة التحضيرية جاء "مخالفا لكل القواعد الديموقراطية، والضوابط الحزبية والتنظيمية" لكون كل الاجتماعات الحزبية "يجب أن يرأسها الأمين العام" وأن القانون الأساسي والداخلي لا ينص على أي شخص يرأس أعمال انتخاب رئيس اللجنة التحضيرية غير الأمين العام.

استجابت المحكمة الابتدائية لطلبه واعتبرت أن قانون الحزب ينص على أن اللجنة التحضيرية تنتخب رئيسا لها ونائبا له ومقررا، لكن ذات المادة وبقية مقتضيات النظام الداخلي سكتت عن بيان كيفية انتخاب رئيس هذه اللجنة. واستندت المحكمة إلى المبادئ العامة "وقواعد اللعبة الديموقراطية" التي تفرض أن يحترم الحد الأدنى من الشروط التنظيمية وذلك بإعداد ورقة الحضور يسجل فيها عدد الحضور وأسماؤهم وتوقيعاتهم كما ينبغي إعلان الترشيحات، على الملأ، وتسجيل المترشحين وفرز الأصوات وإعلان النتائج وإفراغ كل ذلك في محضر قانوني.

تبين للمحكمة من خلال محضر معاينة وقرص مدمج المرفق، بشأن انتخاب رئيس اللجنة التحضيرية أن عملية الانتخاب "جاءت خلافا للقواعد التنظيمية الحزبية"، وأن سمير كودار "لم يدل بالوثائق التي تثبت شرعية انتخابه، ولا يمكن اعتبار تهنئته

أحمد بوز*: البام يعيش حاليا لحظة تشبه ما عاشه خلال الربيع العربي



س: نشأ حزب الأصالة والمعاصرة بطريقة استثنائية من خلال دور شخصية مقربة من الملك، هل تخلص اليوم من آثار ظروف النشأة هذه؟

ج: قد تحيل على ذلك الأحداث الجارية في محيط الحزب في الوقت الراهن. فعندما يتم اعتقال أشخاص ينتمون إليه، ويتحملون مسؤوليات انتدابية مهمة باسمه فإن ذلك يمكن أن يفيد بأنه لم يعد محميا كما ساد الاعتقاد من قبل، وأن الحزب الذي كان لحظة تأسيسه قد وصل نفوذه السياسي إلى الدرجة التي سمحت له بتسييج الحياة السياسية، أصبح اليوم حزبا عاديا مثل باقي الأحزاب. بمعنى آخر، فإن هذا الحزب وإن لم يتخلص بعد من "خطيئة النشأة" فإنه على الأقل أضحى مطلوبا منه أن يعتمد على ذاته، ولم يعد بالتالي يحظى بأولوية مطلقة.

س: كيف وصل الحزب إلى ذلك؟

ج: أظن أن وصول الحزب إلى هذه الوضعية تحكمت فيها عدة عوامل. بطبيعة الحال هناك 20 فبراير، التي صوبت فوهة بركان انتقاداتها أساسا اتجاه هذا الحزب ومؤسسيه، وأدت بالتالي إلى إدخاله في مرحلة كمون. ثم هناك وصول عبد اللطيف وهبي إلى قيادته وهو الذي كان يبدو من خلال الخطاب الذي سوقه، وبعض مواقفه السياسية التي يصعب التحكم فيها، يمعن في إعطاء الانطباع بأنه جاء لكي يقود "بام جديد" تخلص من الازدواجية التي ميزت مرحلة البداية، حيث طوى صفحة الوجوه اليسارية التي قادته من قبل، والتي كانت تربطه بلحظة "لكل الديمقراطيين"، وأضحى يستثمر أكثر في الأعيان والوجهاء. ثم وجود "حزب بديل" أو على الأصح "شخص بديل" (عزيز أخنوش)، يمكن الرهان عليه من أجل تحقيق ما عجز عنه الأصالة والمعاصرة، أي كسر شوكة العدالة والتنمية. وأخيرا، نهاية الخطر الداهم الذي وجد "البام" من أجل محاربته، وفقا لما كان يصرح بذلك بعض قادته ومؤسسيه، بعد التراجع الانتخابي المهول الذي عرفه حزب العدالة والتنمية الذي قاد الحكومة لولايتين متتاليتين.

> **ما يحصل للحزب حاليا يفيد أنه لم يعد محميا كما ساد الاعتقاد من قبل**

س: كيف كانت مساهمة هذا الحزب في الحقل الحزبي المغربي طيلة 15 سنة الماضية؟ هل كان تأثيره إيجابيا أم سلبيا؟

ج: يجوز الوجهان. من جهة، قدم الحزب الوجه الذي يحيل على الصورة السلبية التي مثلها سلوكه ونشأته، والتي أعادت التذكير باستمرار الدولة في إعادة إنتاج الأحزاب الإدارية على طريقة جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية في بداية الستينيات من القرن الماضي، والاستثمار في الأعيان، الشيء الذي كان الاعتقاد قد تقوى بأن مثل هذه الممارسة قد ولت، خاصة مع التطبيع الذي عرفته الحياة السياسية المغربية بعد مشاركة المعارضة السابقة في الحكم وبعدما أصبح الجميع مدافعا عن العرش. ومن جهة أخرى، قدم الوجه الذي يحيل على ما أعطاه من حيوية وديناميكية للحياة السياسية، التي كانت قد غرقت في كثير من الرتابة مع فشل تجربة "التناوب التوافقي"، حيث سمح التنافس بينه وبين حزب العدالة والتنمية، سواء قبيل 2011 أو بعدها، في دخول الحياة السياسية المغربية في مرحلة تقاطب سياسي أظنه كان مطلوبا، في ظل الصعود الانتخابي المتنامي للحزب الإسلامي في مقابل التراجع المثير للأحزاب التقليدية التي كانت تخلق نوعا من التوازن في الحياة السياسية المغربية، وتعطيها حيوية أكبر.

س: كيف تتوقع مستقبل هذا الحزب في المشهد السياسي المغربي؟

ج: يصعب التكهن بما سيحدث في المستقبل. الحزب يمر في الوقت الراهن بلحظة دقيقة تذكر بالظروف الصعبة التي عاشها مع اشتعال الربيع العربي، وقد لا تمر هذه الأحداث التي تحصل في محيطه اليوم بدون أن تكون لها تداعيات على وضعه التنظيمي وعلى الصورة التي يسعى إلى تسويقها.

قد لا يعني ذلك نهاية الحزب، أو حتى نهاية الحاجة إليه، لكن الشيء المؤكد أنه سيدخل في مرحلة صعبة، سيما وأن ليس له خيارات تنظيمية أو سياسية متعددة تعطيه إمكانيات أكبر للتكيف.

تنظيميا لا يبدو أن هناك بدائل قوية بإمكانها أن تعوض وهبي في قيادة الحزب، في ظل ابتعاد أو إبعاد المؤسسين وعدم بروز أسماء لها جاذبية سياسية وتملك أفكارا بديلة. وسياسيا لا يبدو أن الحاجة التي كان يعبر عنها الحزب لحظة تأسيسه، كحزب قدمه نفس باعتباره حداثيا، لا تزال قائمة، من جهة لأن الخصم السياسي الذي كان يجعله يعبر عن هذه الحاجة يمر هو الآخر بأزمة غير مسبوقة وأضحى منهكا بشكل واضح، ومن جهة أخرى لأن الأفكار والطروحات السياسية التي كان يسوقها الحزب، بغض النظر عن صدقيتها أم عدمها أو عن مدى صوابها أم لا، ضاعت في متاهات البحث عن الاستثمار في بروفايل الأعيان الباحثين عن الاختباء وراء المظلة التي يوفرها حزب التحقوا به لأنهم تمثلوه كـ "حزب للدولة" قادر على حماية مصالحهم.

*أستاذ القانون الدستوري والعلوم السياسية بجامعة محمد الخامس بالرباط

من طرف كل من محمد الحموتي، وفاطمة الزهراء المنصوري، رئيسة المجلس الوطني بمثابة حجة قانونية على شرعية انتخابه، ولهذا قررت المحكمة إبطال انتخابه رئيسا للجنة التحضيرية، وبطلان كل القرارات والأعمال الصادرة عن اللجنة التحضيرية.

ردّا على ذلك، لجأ سمير كودار، بدوره إلى المحكمة الابتدائية بالرباط معتبرا أن قرار طرده من الحزب "غير قانوني"، طالبا إلغاءه، فحكمت المحكمة لصالحه في 10 أكتوبر 2019، وبررت حكمها، بأن كودار لم يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام اللجنة التأديبية للحزب، واعتبرت بعد فحص وثائق الملف لاسيما توصية لجنة التحكيم والأخلاقيات، وقرار المكتب الفدرالي بأن "المدعي لم يتم استدعاؤه ولا إشعاره بالأفعال المنسوبة إليه وتمكينه من الاطلاع على الملف التأديبي وتمكينه من حقوق الدفاع"، وهو "ما يعد خرقا جوهريا لحقوق الدفاع الذي ينبثق عن مبدأ البراءة كأصل". وبالتالي قررت المحكمة إلغاء القرار الصادر عن المكتب الفيدرالي لحزب الأصالة والمعاصرة القاضي بطرد سمير كودار، مع ما يترتب عن ذلك من آثار قانونية.

وفي أوائل دجنبر 2019، حسمت محكمة الاستئناف الصراع القضائي بين الطرفين، بعدما قضت بشرعية انتخاب اللجنة التحضيرية التي يرأسها سمير كودار، من خلال رفضها طلب حكيم بنشماس الرامي إلى إسقاط اللجنة التحضيرية برئاسة كودار. ولم يعترف نفس القرار بشرعية اللجنة الموالية لحكيم بنشماس، ما فتح الباب أمام المصالحة بين الإخوة الأعداء، وهي المبادرة التي جاءت من داخل الفريق البرلماني للحزب، وخضع لها حكيم بنشماس، الذي وجد نفسه في مأزق حقيقي بعدما قرار محكمة الاستئناف بالرباط المؤيد لشرعية انتخاب خصمه اللدود سمير كودار.

تناسى المتصارعون حربا كلامية طويلة، واتهامات متبادلة استهدفت ذمم بعض القيادات فيما يخص التصرف غير المشروع في أموال مجهولة المصدر، علاوة على قرارات بالطرد من هيئات الحزب، انتهت في ردهات المحاكم، لذلك لا يبدو أن "الجروح العميقة" التي خلّفتها تلك الصراعات من السهل طيّها نهائيا، والتصرف كما لو أن شيئا لم يحدث.

أحد المطلعين على مطبخ الصراع الداخلي للحزب قال إن انصياع بنشماس جاء اعتقادا منه أن قرار محكمة الاستئناف هو "قرار سياسي وليس قضائي"، وأنه يعكس رغبة جهة ما في السلطة في طي الصراع، والتوجه نحو المصالحة، ولملمة جراح الحزب، قبل استحقاقات 2021، "لكنه انصياع غير كامل، فهو قد حمل معه مناورة جديدة، تتمثل في دعم محمد الشيخ بيد الله للترشح لرئاسة الحزب، كونه شخصية توافقية، وظلت بعيدة عن الصراعات بين طرفي المواجهة، رغم أنه كان مؤيدا لطرف بنشماس"، يقول مصدر من داخل الحزب، وهي المناورة التي استعان فيها بنشماس بالبرلمانيين من حزبه كذلك، الذين قادوا ضغوطا على عبد اللطيف وهبي للقبول بشخصية محمد بيد الله، خلفا لحكيم بنشماس.

حسم الأمر في اجتماع 4 يناير 2020، حيث جرى الإعلان عن اللجنة التحضيرية للمؤتمر الرابع الذي تقرر في 7 فبراير من تلك السنة، وتأكد أن زمن بنشماس انتهى على رأس الحزب، وتمكن عبد اللطيف وهبي من الجلوس في مقعد قيادة الجرار.

وهبي.. الصعود إلى الهاوية

ارتبط اسم الأمين العام الحالي لحزب الاصالة والمعاصرة، عبد اللطيف وهبي، في الحياة الحزبية بالدفاع عن خط سياسي بديل لحزب الأصالة والمعاصرة على النقيض مما كان يدافع عنه أمينه العام السابق إلياس العماري. وواصل وهبي التصدي للخط السياسي نفسه الذي اتبعه حكيم بنشماس، الذي صار أمينا عاما لنفس الحزب خلفا للعماري، والذي طالما اعتبره "شخصا ضعيفا غير مؤهل لقيادة الحزب"، وأنه شخص "يسمع بأذن واحدة، مما عمّق المشاكل داخل الحزب".

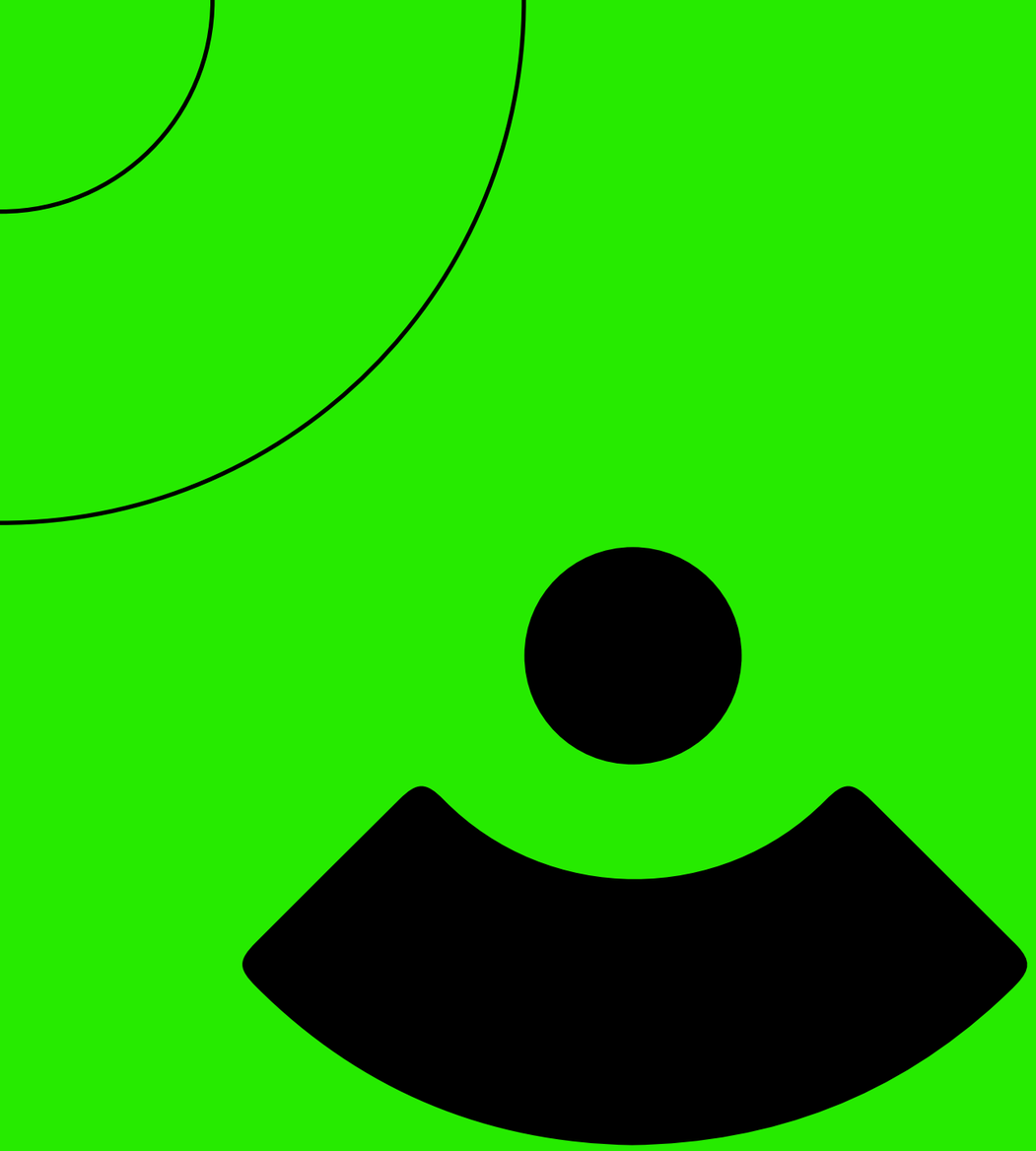
وبينما جعل إلياس العماري من حزب العدالة والتنمية عدوا سياسيا لحزبه، حرص وهبي باستمرار على نهج خط معاكس، وصل حدّ التنويه ببنكيران ومواقفه في أوج الصراع بين "البام" والبيجيدي".

لقد اعتبر وهبي انتخابه أمينا عاما "مؤشرا قويا على القطيعة مع الدولة"، وبداية مرحلة جديدة في حياة "البام"، على الرغم من تشكيك خصومه الداخليين في ذلك، لوجود هوية حزبية راسخة، لا يمكن أن تتغير بين عشية وضحاها، ما يعني أن هناك مسار يصعب تجاوزه، يعود على أقل تقدير إلى الانتخابات التشريعية 2016، التي خسرها "البام" أمام "البيجيدي".

امتطى وهبي صهوة الحزب، وخاض به غمار الانتخابات التشريعية والجماعية الأخيرة بيقين من الفوز بدليل مواجهته الصريحة لجوكير المرحلة، عزيز أخنوش، واحتجاجه العلني على توظيف هذا الأخير لذراع أحساني يوزع المساعدات لتوسيع القاعدة الانتخابية، بل وتصريحه العلني بعدم استعداده للانضمام إلى حكومة يقودها أخنوش.

كان وهبي يعول على صدارة كان يفترض أن يثمرها استثمار كبير قامت به السلطة في حزب الجرار، وتحالف براغماتي محتمل مع حزب العدالة والتنمية. لكن هذا الأخير انهار تحت ضغط عوامل عديدة، منها تبعات ولايته الحكومية الثانية الضعيفة سياسيا، وتوقيع أمينه العام لاتفاقية "التطبيع" مع إسرائيل الذي أدى إلى تخلي حركة التوحيد والإصلاح عنه ضمنيا وعدم دعوتها قواعدها للتصويت عليه، والنزول القوي لتحالف المال والسلطة إلى جانب أخنوش.

ورغم أن هذا الأخير كان يحوز أغلبية ضمنية رفقة الرباعي الذي خاض معه مرحلة "البلوكاج" بعد انتخابات 2016، إلا أن رياح المرحلة أتت بما لا تشتهيه سفن الاتحاد الاشتراكي والحركة الشعبية والاتحاد الدستوري، واستجاب ال"بام" لرغبة تشكيل تحالف حكومي ثلاثي هو الأقوى من الناحية العددية في التاريخ الحديث للمغرب، وبات وهبي يجلس في اجتماعات المجلس الحكومي تحت رئاسة أخنوش، وفوق المشهد أكثر من علامة استفهام: ما جدوى استمرار حزب الأصالة والمعاصر؟



الصحافة للشعوب حياة، و الشعب من غير اللسان موات.

أصل الحكاية

الروايات التي تناولت موت كليوبترا تشير إلى أنها ماتت بتناولها السم أو لدغة حية

كِلْيُوبَتْرَا.. جُدَّة الْمُلُوكَ الأَمَازِيغْ الْمَغَارِبَة

هشام الأحرش



صورة من توليد الذكاء الاصطناعي

يعتبر المؤرخون أن موت الملك الأمازيغي، يوبا الأول، منتحرا بعد هزيمته أمام قيصر، بداية أحد أهم الفصول الدرامية في تاريخ شمال إفريقيا. هذه الهزيمة التي اعتبر المؤرخون أنها خولت التمجيد العظيم لقيصر في هذا اليوم، فكان يسير أمام عربته ابن يوبا، أي الطفل الذي سيصبح بعد عشرين سنة وبفضل اوغسطس ملكا لإفريقيا، أوغسطس نفسه، واسمه حينئذ أكتافيوس، الذي كان عمره أنذاك ٢٧ سنة، قد كان خلف عربة عمه الكبير يوليوس قيصر العظيم.وإذا كان قيصر قد رفض مشاركة ابن أخيه في حربه في إفريقيا، فإنه أهداه شرف المرور رفقته في موكب النصر، كما أهداه ابن الملك يوبا الأول، والذي سيصبح فيما بعد يوبا الثاني. أوكتافيان الحاكم المطلق لروما الذي كان قد أهدى يوبا الثاني مملكة، وأهداه أيضا ملكة، هي كليوبترا الهلال séléné cleopatre، حيث سيزوجه بها وعمرها 16 سنة.

تعتبر الملكة المصرية كليوبترا، أو الملكة الفرعون، من أكثر الشخصيات التي شغلت الدنيا في حياتها وشغلت المؤرخين بعد موتها، لتشغل صناع السينما أيضا، وهو ما يجعلها من أكثر الشخصيات التاريخية التي قدمت لها السينما والدراما التلفزية أعمالا متعددة، شكل أحدهما وهو الفيلم الذي لعبت بطولته الممثلة الأمريكية إليزابت تايلور، أحد أهم هذه الأعمال، ورشح يومها (1963) لـ9 من جوائز الأوسكار، فاز منها بأربع جوائز (أفضل تصوير سنيمائي، وأفضل تصميم أزياء، وأفضل مؤثرات خاصة، وأفضل إخراج فني). ولم يكن هذا الفيلم أول ما انتجته السينما الامريكية عن شخصية كلوبترا، بل سبقه فيلم آخر سنة 1934، فاز بدوره بجائزة واحدة للأوسكار، وهي جائزة أفضل تصوير سينمائي.

إذا كان فيلم كيلوبترا الذي جسدت بطولته إليزابت تيلور قد قدم الشخصية بسحنات غربية، أي عيون زرقاء وبشرة بيضاء وشعر أشقر، وساهم في تشكيل المخيال الجماهيري تجاه هذه السيدة، فإن أن مسلسل كليوبترا الذي عرض على منصة "نيت فليكس" أثار زوبعة كبرى، ستصل درجة الدعوة إلى مقاطعة المسلسل، بمبرر أنه يصور الملكة المنحدرة من أصل مقدوني أوربي، ببشرة سوداء وشعر مجعد إفريقي. كما أن دعوات أخرى طالبت بإطلاق فيلم وثائقي عن الملكة، وعلى رأس هؤلاء عالم المصريات الكبير زاهي حواس.

فمن هي كليوبترا؟ وأين يتجلى حضورها في تاريخ المغرب؟ وألا يحتاج هذا الحضور إلى إبرازه وتناوله من خلال فيلم سينمائي يبرز هذا الحضور ويبرز تقاطع خطوط التاريخ المصري والإغريقي والروماني والأمازيغي في أرض المغرب؟؟

بداية الحكاية

على الرغم من الاعتقاد الشائع بأن كليوباترا تنحدر من أصول مصرية، فإن الواقع يشير إلى أنها كانت تنتمي لأسرة بطليموس المقدونية، التي تنحدر من نسل أحد جنرالات الإسكندر الأكبر، وهو بطليموس الأول. ولا يعني هذا الأمر أنها كانت من أصول يونانية فقط، بل إنها كانت أيضا تتحدث اللغة اليونانية ومطلعة على عادات اليونانيين.

وقد حكمت أسرة بطليموس مصر لمدة 300 سنة، بعد أن اعتلى بطليموس الأول العرش إثر وفاة الإسكندر الأكبر سنة 323 قبل الميلاد. وكان اليونانيون القدامى مولعين بغزو الدول الأخرى، كما أن المصريين من جهتهم كانوا غالبا ما يدينون بالولاء لفرعون أجنبي، لأنهم كانوا يشعرون بالانزعاج من حكم الفرس، الذين سيطروا عليهم قبل قدوم قوات الإسكندر.

كليوبترا هذه، ستجمعها علاقة عشق مع الإمبراطور يوليوس قيصر الذي كان أول الأباطرة الرومان، عندما تولى الحكم (29 أكتوبر 49 ق.م - 15 مارس 44 ق.م)، وهو قائد الجيوش الرومانية في حروب الغال الأهلية، وأصبح بعد ذلك حاكما لروما، بدءا من سنة 49 قبل الميلاد وحتى اغتياله في 15 مارس سنة 44 قبل الميلاد. ويعتبر يوليوس قيصر أحد اللذين كان لهم دورًا مهمًا في الأحداث التي أدت إلى ثورة تحويل روما من جمهورية إلى إمبراطورية.

وقد بدأت علاقة كليوبترا بالقيصر عقب قيام أوصياء أخيها على العرش بطردها من الاسكندرية، في فترة تزامنت مع وجود مصر تحت وصاية روما، كما تزامن هذا الحادث مع وصول حاكم روما القيصر يوليوس إلى مدينة الإسكندرية، حيث هاجم كل خصومها، وقام بإغراق أخيها بطليموس الثالث عشر، وإعادتها إلى العرش لحكم البلاد من جديد مع أخيها بطليموس الرابع عشر.

الموت الدرامي لفرعون

تحول موت كليوبترا إلى أسطورة، ويعتبر أحد أهم اللحظات الدرامية التي ارتبطت بحياة هذه الملكة، ويعتبر المؤرخون أن ارتباطها بالقائد الروماني أنطوان مارك أنطوان، أحد المتصارعين على الحكم بعد مقتل يوليوس قيصر، شكل الفصل الأخير في حياتها. فهذا القائد الكبير الذي سيتعرف عليها قبل سنوات من ذلك، عندما كانت كليوبترا تشغل المجتمع الروماني حين ارتباطها بعلاقة غير شرعية بيوليوس قيصر، وحضورها الباهر في المجتمع الروماني، وهي التي تعرفت عن قرب على روما ومجتمعها، والذي لم يكن ينظر بعين الرضا لعلاقتها مع قيصر.

علاقة كليوبترا وقيصر، وإن كانت علاقة غير شرعية، فإنها في المقابل ستكون علاقة زواج مع القائد الروماني الكبير، مارك أنطوان، وهي العلاقة التي ستكون سببا في هلاكهما معا، بعد أن أعلن القائد الروماني اوكتافيان، أو الامبراطور اوغستين بعد ذلك، الحرب عليهما. وتعتبر العديد

من المصادر التاريخية أن الأسباب التي دعت اوكتفيان إلى إعلان الحرب على كليوبترا هو الأراضي التي تنتمي فعليا لروما وأعطيت إلى كلوبترا، وكذلك الأسلوب الذي احتفى به أنطوان بعلاقته بكليوبترا، خصوصا ظهورهما معا على العملة النقدية التي تعتبر أحد أوجه السيادة وهو ما أثار غضب أوكتافيان. هذا الصراع الذي كان دائرا بين أنطوان وأوكتاف حول حكم الإمبراطورية الرومانية بعد موت يوليوس قيصر، كان سببا في انقسام الملوك الأمازيغ بين مؤيد لأوكتافيان وبين مؤيد لأنطوان.

هزيمة كليوبترا وانطوان أمام أوكتافيان ستدفعهما إلى الانتحار. فالروايات التي تناولت موت كليوبترا تشير إلى أنها ماتت بتناولها السم أو لدغة حية (كما يقول بلوتارخ في حياة أنطوان)، إذ وفي ظل غياب الملكة عن موكب النصر، سيحضر اوكتفيان تمثالا للملكة ومعها حية، ويمكن اعتبار هذا الأمر مصدر أسطورة انتحار كليوبترا بلدغة حية. أما موت أنطوان، فالمصادر التاريخية تشير إلى أنه بعد تيقنه من هزيمته أمام أوكتفيان، أمر أحد عبيده بقتله، لتنتهي حياتهما، لكن في المقابل ستبدأ أسطورتهما.

ارتباط كيلوبترا بحاكم أمازيغي

يعتبر المؤرخون أن موت الملك الأمازيغي، يوبا الأول، منتحرا بعد هزيمته أمام قيصر، بداية أحد أهم الفصول الدرامية في تاريخ شمال إفريقيا. فيوبا الأول الذي خرج لمواجهة قيصر سنة 46 ق م، كان قبل ذهابه للحرب قد أعد العدة ليحرق عاصمته زاما بما فيها من الأمتعة والناس، وأن يقدم نفسه وأبناءه وثرواته للنار، إذا هو اندحر في الحرب. لكن مدن مملكته أغلقت أبوابها في وجهه ليموت منتحرا بعد هزيمته.

هذه الهزيمة التي اعتبر المؤرخون، وعلى رأسهم اصطيفان اكصيل، أنها خولت التمجيد العظيم لقيصر في هذا اليوم، فكان يسير أمام عربته ابن يوبا، أي الطفل الذي سيصبح بعد عشرين سنة وبفضل اوغسطس ملكا لإفريقيا، أوغسطس نفسه، واسمه حينئذ أكتافيوس، الذي كان عمره آنذاك 27 سنة، قد كان خلف عربة عمه الكبير يوليوس قيصر العظيم.

وإذا كان قيصر قد رفض مشاركة ابن أخيه في حربه في إفريقيا، فإنه أهداه شرف المرور رفقته في موكب النصر، كما أهداه ابن الملك يوبا الأول، والذي سيصبح فيما بعد يوبا الثاني. أوكتافيان الحاكم المطلق لروما الذي كان قد أهدى يوبا الثاني مملكة، وأهداه أيضا ملكة، هي كليوبترا الهلال séléné cleopatre، حيث سيزوجه بها وعمرها 16 سنة.

كليوبترا هذه، أو كليوبترا سليني، هي بنت كليوبترا الشهيرة، من زوجها أو خليلها مارك أنطوان، خصم أوكتاف وعدوه اللدود. وهي أيضا التي أسرت بعد موت والديها في الحرب التي خاضها أوكتفيان أو أغسطس ضد غريمه أنطوان. وقد تلقتها أوكتافيا، أخت الإمبراطور أوكتاف المنتصر، وربتها كما ربت يوبا، وهي التي أشارت، كما يقول بلوتارك على أخيها أوكتاف بتزويجها، ولقبها بالإغريقية سيليني Selene أي الهلال.

الغريب أن يوبا، بعد كليوبترا، لم يتزوج بنت أحد كبراء دولته من بني جنسه، لا من القيصرية ولا من الطنجية، بل لم يمل إلى إغريقية ولا إلى لاتينية، وما من شك فيه أن هنا في مملكته، بنت أحد الكبراء الذين يتهافتون على مصاهرته لاكتساب الحظوة. كما أنه لا شك أن في الروميات من كن يتطلعن له ويسارعن لاستمالته. أما الإغريقيات فهن أيضا سيستجبن له لو أراد. فهل فقد مع فقدانه كليوبترا الصبر والعزاء؟

هذه الرواية تنفيها رواية أخرى تقول إن يوبا وبعد موت كليوبترا، قام برحلة قطع فيها البحر الأبيض المتوسط بطوله، من وليلي أو من قيصرية حتى قبادوقيا في وسط آسيا الصغرى. وكانت قبادوقيا هذه مملكة على رأسها الملك أرخيلاوس. وهناك التقى بالفاتنة كلافيرا، وتزوجها وعاد إلى دولته، لكنه سرعان ما طلقها وأعادها لأبيها لأسباب غير معروفة.

يوبا الثاني الملك المثقف

لم يكن يوبا الثاني ملكا فقط، بل كان ملكا عالما ومثقفا، ألف في العديد من مجالات المعرفة، وكان ذلك نتيجة للتربية التي تلقاها في روما، تربية بدنية وفكرية نالها بأكبر عناية ممكنة، فتتلمذ على يد النبهاء من العلماء الرومانيين والإغريق. وفي جانب التربية البدنية، أبدى الشاب يوبا، وهو ابن 19 سنة كفاءة، وقدرة في الحرب ضد أنطوان بجانب أوكتاف. وبالتالي ليس من قبيل الصدفة أن يكون الملك يوبا متضلعا في الثقافة الإغريقية، وأن تكون زوجته الملكة هي نفسها من أصل إغريقي من الأسرة اللاجي، الأمر الذي سيسم القصر من طرفيه بالطابع الإغريقي. طابع سيكون حاضرا في تربية ابنهما بطليموس، وهو الاسم الذي كان يحمله أحد أجدادها.

إذا كان بعض المؤرخين يقدمون يوبا الثاني كملك، فإن آخرين من الكتاب القدامى، يقدمون هذا الملك الامازيغي الموري بصفته عالما وباحثا موسوعيا مشبعا بالثقافة اللاتينية، وهو ما ساعده على تسيير مملكته وتنظيمها، وسهل نشر بعض مظاهر الحضارة الرومانية بها، أو على الأقل بمدنها. فيليوس الشيخ يؤكد أن شهرة يوبا الثاني كعالم، جعلته أكثر ذكرا من كونه ملكا، ويتكلم عن بعض أعماله ومن بينها مبحث خصصه لنبتة الافوربيون الطبية، التي يستعمل سائلها لعلاج لسعات الافاعي، إضافة الى بحثه حول منابع النيل.

بطليموس ونهاية المملكة

إذا كنا قد تحدثنا عن بداية قصة الأب الدرامية كأسير حرب، فإن ابنه بطليموس ستنتهي حياته بشكل درامي كذلك. بطليموس هذا هو الابن الوحيد ربما للملك يوبا الثاني والملكة كلوبترا القمر، ينتمي إلى ثلاث عائلات عريقة مشهورة: نوميدية أمازيغية، وإغريقية فرعونية، ورومانية. فهو من جهة أبيه سليل ملكية نوميدية منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وإليها ينتمي الملك ماسنيسا، حليف الرومان خلال الحروب البونية (218-202 ق م) وهو من جهة أمه حفيد ملكة مصر، كليوبترا، والقائد ماركوس أنطونيوس، أي سليل بيت ملكي إغريقي حكم مصر منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وعائلة رومانية نبيلة أيضا، التي أعلت دون شك من شأنه، وأعطته شهرة على غالب الظن.

كان الملك بطليموس قوي الشخصية متمرسا في شؤون تسيير المملكة قبل أن يصبح ملكا، حيث شارك أباه الحكم وهو أمير، كما ربط علاقات متينة مع ساسة روما، ومع مناطق متعددة من الإمبراطورية الرومانية. غير أن المصادر القديمة لم تحتفظ لنا من ذكراه إلا بمعلومات قليلة ركزت على غناه واهتمامه بمظهره، وهو المظهر الذي يشير بعض المؤرخين أنه كان سببا في اغتياله سنة 40 ميلادية، من قبل الإمبراطور كاليكولا، ليعقب الحادث احتلال مملكة موريطانيا، وإلحاقها بروما.

ويعتبر الفيلسوف سيكا حوالي أول من تطرق في إشارة مقتضبة إلى الحادث، وذلك عشرين سنة بعد الواقعة، حيث يشير إلى أن كاليكولا ألقى القبض على ملك موريتانيا ووضعه في الأسر، لكن سويطون صاحب "حياة الإثني عشر قيصرا" أشار في مطلع القرن الثاني للميلاد، إلى أن كاليكولا قتل فجأة بطليموس بعدما استقبله بحفاوة، نتيجة غيرة الإمبراطور وحقده على الملك الذي تجرأ على منافسته في الملبس، وذلك بارتدائه عباءة أرجوانية ناصعة.

إلا أن بعض المؤرخين يعتبرون أن السبب في قتل كاليكولا لبطليموس هو وجود منافسة بين الملك والإمبراطور حول لقب الكاهن الأكبر للآلهة المصرية إيزيس، حيث اهتم كاليكولا بعبادتها وبنى لها معبدا في روما، لكنه وجد منافسا قويا في بطليموس الذي ورث عن أمه الكهنوتية الكبرى لهاته الإلهة. وأيا كان السبب في قتل الإمبراطور كاليكولا للملك بطليموس، فموت هذا الملك كان إيذانا بنهاية مملكة.

ملكة على النقود

تعتبر النقود بمثابة التأريخ لفترة حكم معين، كما تعتبر نوعا من التمجيد والتشريف لبعض المخلوقات كذلك، خصوصا إذا علمنا أن النقود كانت تحمل صورا لحيوانات، مثل الأسد والتمساح. ويعتبر علم النميات العلم الذي تعرف به أنواع النقود التي ضربت في أزمة مختلفة وبلاد شتى وفي أيام ملوك وقياصرة متنوعين، وهذه الكلمة متقاربة مع لفظة لها نفس المدلول في اللغتين اليونانية واللاتينية، ومنها أخذ الفرنسيون كلمة Numismatique.

المكانة التي بلغتها الملكة كليوبترا سيلين داخل مملكة موريتانيا، ستتوج بحمل النقود لصورتها واسمها، وهو الأمر الذي يعتبره بعض المؤرخين نوعا من التشريف ليس إلا، ولا علاقة له بمشاركتها في شؤون الحكم، بالرغم أنها لقبت بملكة موريتانيا. كما أن هؤلاء المؤرخين يعززون فرضيتهم السابقة بدليل آخر، هو أنه لم يلاحظ أي أثر للتقسيم الجغرافي للمملكة بين الزوجين.

في حين يعتبر المؤرخ المغربي، محمد التازي سعود، أن مكانة كليوبترا ورمزيتها، وهي التي حملة لقبا كبيرا، وهو سيليني Séléné أي الهلال بالإغريقية، فيه إشارة إلى عبادة إزيس، أي المعبودة المصرية. لذلك كثيرا ما نجد الهلال على نقودها، لكونها كانت ملكة وشريكة لزوجها في الملك وكان لها بلاطها الخاص بها حاشيتها، باعتبارها ملكة ذات سلطة وسطوة، فكان من حقها أن تسك إن شاءت نقودا خاصة بها، أو نقود مشتركة على أحد وجهي القطعة النقدية، صورتها هي على وجه، وصورة زوجها على الوجه الآخر، وغالب الظن أن حاشيتها كان بها ثرثيون من ذوي الثقافة الإغريقية، وربما كان من بينهم من كانوا في خدمة أمها كلوبترا الكبرى.

امسح للاستماع
للبودكاست

المغرب والانتخابات الأمريكية



حمزة الاتفاقي

ابتداء من الاثنين الماضي، انطلقت السنة الانتخابية في الولايات المتحدة الأمريكية التي ستشمل الانتخابات الرئاسية، انتخابات مجلس النواب، انتخابات ثلث مجلس الشيوخ، وانتخابات داخل الولايات الخمسين كلها.

الانتخابات الرئاسية الأمريكية تجذب أنظار وجيوب العالم وأثارها ستلمس المغرب لا محالة، خصوصا في ظل ما يقع عبر العالم وعلاقة أمريكا به. في خضم هذا المسار، على المغرب أن يعرف كيف يتموقع للحفاظ على مصالحه في ظل التحولات الكبيرة التي يعرفها العالم.

في أول امتحان انتخابي في ولاية آيوا، وفي الانتخابات الخاصة بالحزب الجمهوري اكتسح المرشح/الرئيس السابق دونالد ترامب الاقتراع داخل الولاية، متقدما على المرشح الثاني بثلاثين نقطة مئوية. هذه النتائج، مرفوقة بنتائج أغلب استطلاعات الرأي تؤكد على الاحتمال الكبير لحصول ترامب على تزكية الحزب الجمهوري، مما ينبئ بنزال بينه وبين الرئيس الحالي جو بايدن.

في حال استمرار بايدن في الحكم، المغرب يجب أن يجيد كيفية تدبير الولاية الثانية دون تراجع عن مكتسباته. رأينا الفتور في تعامل الإدارة الحالية مع الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء، وتدافعها نحو مسار الحرب في أوكرانيا وفي حرب إسرائيل ضد غزة، وتراجعها عن دورها الريادي في العالم. لذلك على المغرب أن يهيئ نموذجه المستقل للتأقلم مع العالم الذي يتم بناءه اليوم وبناء تحالفات إقليمية تمكنه من مجابهة هذا المسار الذي ترسمه إدارة بايدن.

لكن هناك سيناريو ثان. حيث يربط العديد من المواطنين الأمريكيين بين الرئيس الحالي بايدن والتضخم التاريخي الذي ضرب البلاد، ويعتبرون أنه فضل الإنفاق على حروب خارجية عوض التركيز على التحديات الداخلية. كما أن جزءا من كتلته الناخبة في إحدى أهم الولايات المتأرجحة ولاية ميشيغان هم عرب ومسلمون تأثروا بالدعم اللامشروط الذي قدمه لإسرائيل في حربها الأخيرة.

> **عودة ترامب إلى البيت الأبيض قريبة التحقق**

كل هذه العوامل تجعل عودة ترامب إلى البيت الأبيض قريبة التحقق. فترة ترامب الأولى كانت إيجابية للمصالح الاستراتيجية للمغرب، وعلى المغرب أن يهيئ الأوراق التي يمكن من خلالها تثمين المكتسبات التي حصل عليها وتهييئ المجال للحصول على مكتسبات أخرى.

القانون الأمريكي يسمح للأفراد، الشركات، والدول الأجنبية بالتأثير على الانتخابات في إطار قانوني. حيث أن قانون تسجيل الوكلاء الأجانب FARA يسمح للفاعلين الأجانب بتقديم الأموال للمرشحين السياسيين في مختلف المستويات، شريطة أن يسجل المانح نفسه لدى السلطات الأمريكية.

وهناك الكثير من الفاعلين السياسيين داخل أمريكا وخارجها الذين يدعمون الحزبين معا ماديا، مما يسمح لهم بخلق علاقات مع الفائز، أيا كان منهما (أحد أكثر الفاعلين نجاعة في التأثير على النظام السياسي الأمريكي هو اللوبي الإسرائيلي في أمريكا الذي تعلم قواعد اللعبة ويطبقها للحفاظ على مصالحه).

لذلك، فعلى المغرب أن يتعلم من تجربته مع المرشحة السابقة هيلاري كلينتون، والتي كانت قد طلبت 12 مليون دولار من المغرب، دون أن يقدم المغرب أي دعم للمرشح الجمهوري حينها دونالد ترامب، والذي حاز على ثقة الأمريكيين في نهاية المطاف، وتطرق إلى هذا الموضوع في إحدى خطبه للأمريكيين.

كما يمكن للمغرب أن يساهم في انتخابات مجلس النواب ومجلس الشيوخ لدعم المرشحين الذين سيساندونه في قضاياه الاستراتيجية من جهة، والتصدي للمرشحين الذين يقفون في وجه مصالح المغرب ويدعمون مصالح خصومه الاستراتيجيين. عندما يشرع مسار الانتخابات الأمريكية، يصاب الكثير بالصدمة، كونهم يعتبرون أن هذا نوع من أنواع الفساد السياسي. للأسف، هذا هو طبيعة النظام السياسي الأمريكي، وعلى المغرب أن يتعلم قواعد اللعب فيه، وأن يتأقلم للعب والدفاع عن مصالحه في ظله.

امسح للاستماع
للبودكاست

مؤسسات مغشوشة



إسماعيل حمودي

احتفى البرلمان المغربي هذا الأسبوع بالذكرى الستين لتأسيسه، في سياق سياسي ومؤسساتي، يعاني من أزمة الثقة، التي تتعمق أكثر مع مرور الوقت، لأسباب عديدة ومعقدة، منها ما هو ذاتي مرتبط بالنخب الممثلة في المؤسسة التشريعية، ومنها ما هو موضوعي تتعلق بموقع البرلمان في البناء الدستوري القائم، وهي عوامل تتضافر جميعا لتجعل من المؤسسات التمثيلية، ومنها البرلمان، مؤسسات هامشية حتى الآن رغم الصلاحيات والاختصاصات القوية المسنودة إليه بموجب الدستور والقوانين ذات الصلة. انطلاقا من دستور 2011، يمكننا أن نستنتج أن المشرع الدستوري سعى إلى جعل البرلمان في قلب النظام المؤسساتي، عبر أربع رافعات على الأقل: أولا، من خلال تعزيز صلاحياته التشريعية، التي ارتقت حد حصر السلطة التشريعية في يد البرلمان؛ وثانيا، تعزيز صلاحياته الرقابية، عبر إحداث آليات ووسائل جديدة للمراقبة، قد تمكنه من التأثير الجوهري في السياسات العمومية؛ ثالثا، تقوية علاقاته بالعديد من المؤسسات الدستورية التي باتت مدعوة إلى التواصل والتفاعل إيجابا مع البرلمان، سواء من خلال عرض تقاريرها ومناقشتها وإبداء التوصيات والملاحظات الضرورية بشأنها؛ ورابعا، تعزيز فكرة التمثيلية البرلمانية بالديمقراطية التشاركية، وبالتالي انفتاح البرلمان على مؤسسات المجتمع المدني، وعلى المواطنين، الذين أتاح لهم الدستور تقديم العرائض وملتمسات التشريع، وهي رافعة يمكن أن تعزز الدور التمثيلي للبرلمان، إن هو سعى إلى ذلك. ومنذ الشروع في تفعيل دستور 2011، على مدى ثلاث ولايات برلمانية، انصرمت منها اثنتان وبلغنا نصف الولاية الثالثة، يمكن القول إنه باستثناء الولاية الأولى للبرلمان (2011-2016) التي تميزت بنشاط النخب البرلمانية، وسعيها إلى ممارسة جل أدوارها السياسية والتشريعية، حيث احتضن البرلمان، وخصوصا مجلس النواب، نقاشات سياسية قوية، جعلته في قلب النقاش العمومي، مؤثرا وموجها ومحددا للقضايا ذات الأولوية، فإن الولاية الثانية (2016-2021)، وما انصرم من الولاية الثالثة (2021-2026)، عرفت تراجعا لافتا في دينامية العمل البرلماني، تكاد تجعله اليوم خارج النقاش العمومي في بلادنا.

أبرز المؤشرات على ذلك أن البرلمان يبدو فاقدا للقدرة على إثارة النقاش العمومي، أو حتى التأثير في النقاشات الجارية خارجه في الفضاءات التي فرضت نفسها بديلا عنه. صحيح أن بروز هذه الفضاءات بات معطى موضوعيا، خصوصا أنها ذات قدرة على المنافسة والتأثير حتى في البلدان العريقة في الديمقراطية، لكن ما هو ملاحظ على البرلمان المغربي الحالي انسحابه المثير للاهتمام من النقاش العمومي، وكأنه متفرغ لأشياء أخرى أهم من الاختصاصات الدستورية المسنودة إليه، ولعل غيابه اللافت للنظر عن ملف أزمة النظام الأساسي لرجال ونساء التعليم.

ما الذي يجعل البرلمان الحالي على هامش النقاش العمومي؟ من بين التفسيرات الممكنة لهذا الوضع، وجود حكومة بأغلبية مريحة، لكنها تهمش ما هو سياسي، وتفضل المقاربة التكنوقراطية لحل الملفات المطروحة. ورغم أن هذه المقاربة أفضت إلى أزمات متكررة (المحامين، الأساتذة، رجال الأعمال...)، وعمّقت من أزمة مؤسسات الوساطة، ما جعل البعض يتحدث عن فراغ سياسي، إلا أن هذا التفضيل يبدو خيار لا رجعة عنه، رغم الصدمات التي تعرضت لها. نحن إزاء حكومة منتخبة لكنها تنفر من كل ما هو سياسي. وتجد هذه النزعة أقوى تعبيراتها في ميلها المنهجي للتشريع بمراسيم، في الوقت الذي تراجعت عدد القوانين المعروضة على البرلمان بغرفتيه، مقارنة بالحكومات السابقة.

تبدو هذه الإجابة مقنعة، وتعبر بدرجة أقوى عن الواقع القائم، لكن وجود حكومة تكنوقراطية تنفر من السياسة، لا يمنع البرلمان من ممارسة دوره السياسي، وإثارة النقاشات الحيوية، وتعزيز حضوره في الخريطة المؤسساتية، وهو ما يعني ضرورة البحث عن تفسير إضافي، قد يكون مرتبطا بطبيعة النخب الممثلة حاليا في البرلمان.

ما هو ملاحظ في هذا السياق، أن البرلمان الحالي تهيمن عليه نخب من نوعية خاصة، تتمثل في الأعيان ورجال المال والأعمال، بعضهم "كائنات انتخابية"، لكن بعضهم الآخر جديد على العمل البرلماني، وربما جاء إليه مضطرا تحت ضغوط سلطوية، كان الغرض منها البحث عن أعيان ومقاولين ورجال أعمال، ممن لديهم تجذر اجتماعي معين، لاستعمالهم في هزيمة حزب العدالة والتنمية، وهي الاستراتيجية التي نجحت في النهاية، لكن في الوقت الذي حطمت "البيجيدي"، أغرقت البرلمان بغرفتيه بكائنات لا هي انتخابية ولا هي سياسية.

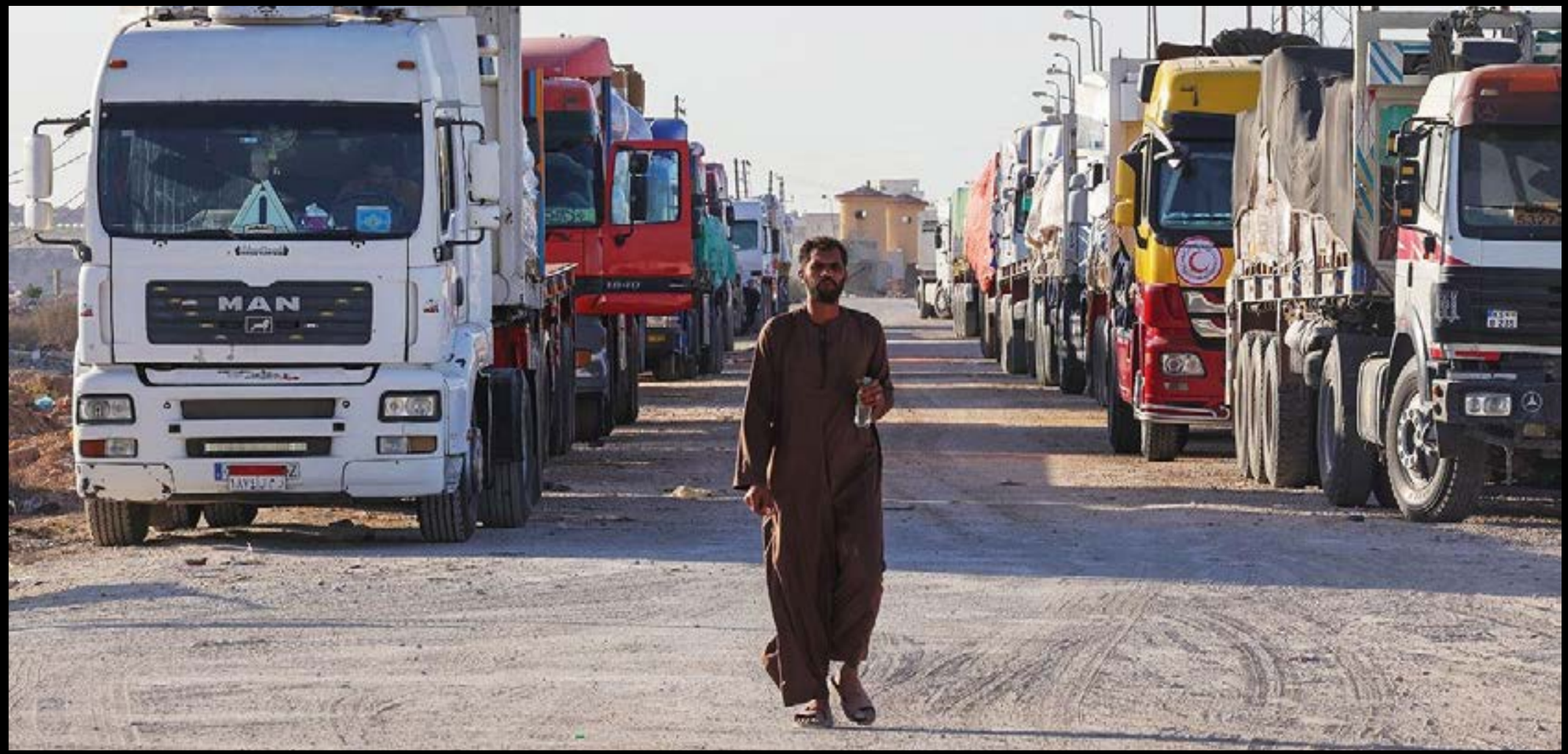
وعليه، لا يمكن فصل الوضع المغشوش للبرلمان اليوم عن نتائج الانتخابات التشريعية لسنة 2021، التي أثارت نقاشات قوية حول نزاهتها، وأفرزت خريطة سياسية مغشوشة، وهو الجدل الذي تزكيه المتابعات القضائية الجارية لعشرات البرلمانيين، والتي كشفت أيضا عن وجود اختراق منظم للمؤسسات الدستورية من لدن تجار المخدرات، بل حتى توظيفها للتغطية على أعمال غير قانونية، وهو وضع خطير ومنذر بالكوارث، إن لم يتم تحميل تحديد المسؤوليات وترتيب الجزاء السياسي والقانوني اللازم

امسح للاستماع
للبودكاست

عدد الذين سيموتون في غزة بسبب الجوع والمرض يفوق من سيموتون بسبب القصف

شبح المجاعة يهدد حياة أكثر من مليوني فلسطيني

تتهم جنوب أفريقيا إسرائيل بارتكاب جرائم إبادة جماعية، وهو اتهام مثير للجدل بشكل كبير. ومع ذلك، فإن الأزمة الإنسانية المتفاقمة في غزة هي إحدى أسوأ الأزمات التي شهدتها البشرية خلال القرن الحادي والعشرون. تقول الوكالات المختصّة بالمساعدات الإنسانية أنه إذا لم يتغير أي شيء، فإن عدد الفلسطينيين الذين سيموتون في غزة هذا العام بسبب الجوع والمرض سيفوق عدد الذين سيموتون بسبب القصف الصهيوني.



شاحنات معبئة وعلى أهبة الاستعداد لبدء عملية الإمدادات إلا أنها لاتزال تنتظر وتنتظر

ترجمة: نبيل حانة

قبل اندلاع العدوان الإسرائيلي على القطاع، كانت غزة عبارة عن مكان تناقضات. لقد كانت من بين أكثر المناطق التي تعتمد على المساعدات الإنسانية في العالم. ساهمت الحروب المتواصلة والحصار الإسرائيلي-المصري في سحق القطاع الخاص داخل غزة. ومع ذلك، فإن العملية الإنسانية الموسعة التي تكلفت بـ 80% من سكان غزة البالغ عددهم 2.2 مليون نسمة، اعتمدت بالأساس على خدمات القطاع الخاص.

خلال مرحلة ما قبل الحرب، كانت المؤسسات الخيرية التي تحتاج إلى الدقيق مثلا، تتصل بأحد التجار في غزة، والذي كان بدوره يقوم بالاتصال بإحدى المطاحن المتواجدة داخل الأراضي الفلسطينية أو في الضفة الغربية المحتلتان. يمكن لعمال الإغاثة أن يتولوا عملية التوصيل في الكيلومتر الأخير نحو المخابز والأسر، إلا أن الشركات الخاصة هي من تولى الجزء الأكبر والأهم من العملية.

المساعدات لا تكفي

قد يبدو أنه من العبث أن نتحدث عن سلاسل التوريد والتوصيل في سياق الحرب المستمرة على القطاع، والتي أسفرت، خلال ثلاثة أشهر فقط، عن استشهاد 1% من سكان غزة، والإضرار بنحو خُمس مباني القطاع.

وتشكل الخدمات اللوجستية جزءا من المشكلة والحل في آن واحد. تصرّ إسرائيل على أن تقوم منظمة الأمم المتحدة بالإشراف على عمليات إدخال المساعدات إلى غزة، وكذلك تفعل حماس، وهذا أمر غير واقعي.

لتجنب حدوث مجاعة في غزة، سيكون على إسرائيل أن تسهل تدفق السلع التجارية إلى غزة، وتوفير الإمدادات إليها بشكل مباشر. ويقول "فيليب لازاريني"، رئيس وكالة إغاثة وتشغيل

اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، التي تختص في مساعدة اللاجئين الفلسطينيين: "إن المساعدات وحدها لن تكون كافية" ويضيف: "نحن نحتاج إلى تدخل القطاع الخاص."، من الممكن أن يسمح تمكين الشركات الخاصة من العمل إلى التخفيف من الاختناقات التي تشوب عملية التوزيع والسماح باستيراد المزيد من المساعدات. وتقول وكالة "الأونروا" إنه يمكنها بعد ذلك أن تتجه نحو العمل على تقديم المساعدات المالية بدلاً من الاكتفاء بتوزيع حصص الإعانات الشحيحة مما سيمكن الناس من استخدام هذه الأموال من أجل شراء الطعام.

إن حجم هذه الأزمة الإنسانية هائل جدا. لقد نزح حوالي 1.9 مليون شخص (حوالي 85% من سكان غزة). ويلجأ ما يقارب 1.4 مليون شخص إلى المدارس والمرافق الأخرى التي تديرها "الأونروا". يقول "لازاريني": "إن الظروف مروعة".

يستوعب أحد الملاجئ في مخيم "خان يونس" الجنوبي حوالي 30 ألف شخص، فيما نصبت عشرات الآلاف من المخيمات بالخارج. إن قساوة الاقتصاد في زمن الحرب يعني أن العديد من سكان غزة لا يستطيعون توفير حتى تكلفة ثمن سقف من النايلون لحماية رؤوسهم. وتقول منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة إن هناك دشاً واحدا فقط لكل 4500 شخص ومرحاض واحد لكل 220 نازح.

انهيار شامل

لقد انهارت البنيات التحتية بشكل كامل، حيث أغلق ما يقارب ثلثي مستشفيات غزة، بينما تكتظ المستشفيات الثلاثة عشر المتبقية تحت الخدمة، بالمرضى الذين تتم معالجتهم على أرضيات المشفى الملطخة بالدماء، ولا تتوفر على أي مستلزمات طبية أو موظفين بالشكل الكافيين، وتوقفت محطات تحلية المياه التي كانت توفر المياه النظيفة في السابق عن العمل بسبب نقص إمدادات الوقود وقطع الغيار، حيث يحصل الأطفال النازحون على لترين من الماء في اليوم فقط.

> **أغلق ما يقارب ثلثي مستشفيات غزة بينما تكتظ المستشفيات الثلاثة عشر المتبقية تحت الخدمة بالمرضى**

وتستخدم منظمة الأمم المتحدة مقياس التصنيف المتكامل للأمن الغذائي المكون من خمس مراحل في سبيل قياس درجة الجوع، في المرحلة الأولى يكون الناس بخير. أما في المرحلة الخامسة، فهم يتضورون جوعًا حتى الموت، ولا يحصلون على وجباتهم الأساسية، وغالبًا ما يمكثون دون طعام لمدة 24 ساعة. ويقول عارف حسين، كبير الاقتصاديين في برنامج الأغذية العالمي، إن 706 آلاف شخص حول العالم يعيشون في هذا المستوى الأسوأ. أربعة من كل خمسة منهم – 577,000 – هم من أهل غزة (انظر الرسم البياني). ويقول: "إن حجم هذه الأزمة وشدة مقياسها وسرعتها يجعل هذه منها أمرا غير مسبوق.

وقال الفلسطينيون النازحون في رفح، على حدود غزة مع مصر، خلال مقابلات أجريت معهم في الأسابيع الأخيرة، إنهم يتلقون حصصاً غذائية ضئيلة من وكالات الإغاثة: يمكن لأسرة أن تحصل على علبة فاصوليا في اليوم. قد تتوفر الأسواق على بعض الطماطم والباذنجان، ولكنها تفتقر إلى المواد الغذائية الأساسية، وعندما تكون متاحة، لا يمكن لأحد تحمل تكلفتها. إن سعر كيس الدقيق تزايد ليصير عشرة أضعاف ما كان عليه قبل الحرب.



النقود نفذت

بالنسبة للفلسطينيين الذين يمتلكون ما يكفي من المدخرات المالية، فهم لا يستطيعون الحصول على أموالهم. يروي أحد الفلسطينيين عن اليوم الذي قضاه في الانتظار بالطوابير أمام ستة أجهزة صرافات آلية، وقد نفدت كل النقود التي بداخلها قبل أن يتمكن من الحصول ولو على القليل منها.

لقد خاطر موظفو بنك فلسطين بحياتهم من أجل القيام بمهمة تجديد الأموال داخل أجهزة الصرافات الآلية في الجنوب، وذلك عن طريق جلب الأوراق النقدية من الخزائن المالية المتواجدة في شمال غزة. لكن القطاع المالي، مثله مثل أي قطاع آخر في غزة توقف تماما عن العمل في أغلبه.

يعتمد التصنيف الدولي الغذائي على ثلاث معايير لإعلان حالة المجاعة: أولا يجب أن يتضور 20% من السكان جوعاً؛ ثانيا يجب أن يعاني 30% من الأطفال من سوء التغذية الحاد؛ والثالث هو بداية موت شخصين من كل 10آلاف نسمة يوميًا بسبب الجوع، فيما ينطبق المعيار الأول على غزة. وتقول وكالات الإغاثة الإنسانية إنها لا تستطيع تقييم الحالتين المتبقيتين بسبب الدمار الهائل الذي حل بالنظام الصحي داخل غزة.

وعلى بعد دقائق من غزة، عبر الضفة الأخرى لحدود الأراضي الفلسطينية المحتلة، يتواجد نظام صحي على مستوى الدول الغربية، ولا يوجد هناك أي نقص في الغذاء. إن الظروف اليائسة في غزة ليست نتيجة ثانوية حتمية للحرب؛ إنما هي نتيجة للقرارات السياسية التي اتخذتها حكومة الاحتلال الصهيوني.

تفتيش اسرائيلي

خلال الأسبوعين الأولين من الحرب، لم تسمح إسرائيل بدخول أي شيء إلى القطاع المحاصر، ممّا أجبر الشركات والأسر على استئناف مخزونهم من الغذاء والدواء وغيرها من المواد الأساسية. ثم في 21 أكتوبر تشرين الأول، بدأت سلطات الاحتلال بالسماح بتدفق البضائع عبر معبر رفح مع مصر (بحث اتفاق مصر مع السلطة الفلسطينية لسنة 2005 على موافقة إسرائيل على عمليات التسليم هذه).

استمرت الشاحنات في الدخول إلى غزة بشكل يومي تقريبا منذ ذلك الحين، بمعدل ثماني شاحنات يوم 25 أكتوبر/تشرين الأول إلى 300 شاحنة يوم 28 نوفمبر/تشرين الثاني، وذلك أثناء هدنة وقف إطلاق النار التي استمرت لأسبوع واحد والتي هدفت إلى تسهيل إطلاق سراح عدد من الأسرى الإسرائيليين والأجانب المحتجزين في غزة.

وحتى وقت قريب، كان يتوجب على كل شاحنة أن تسير من رفح على بعد 50 كيلومترا جنوبا إلى نيتسانا، وهي منطقة تقع على الحدود بين إسرائيل ومصر، حيث يتم تفتيش الشاحنات من قبل سلطات جيش الاحتلال الإسرائيلية، لتعود من هناك مجددا إلى رفح، ثم وفي الشهر الماضي، وتحت الضغط الأميركي، قالت إسرائيل إن عمليات التفتيش يمكن أن تتم في منطقة "كيرم شالوم"، وهي نقطة حدودية تفصل بين إسرائيل وغزة كانت عبارة عن معبر رئيسي لدخول السلع التجارية إلى القطاع قبل الحرب.

ومع ذلك، حتى مع وجود معبر ثانٍ، فإن عمليات التوصيل تشمل على عدد أقل بكثير من الشاحنات مقارنة بـ 500 إلى 600 شاحنة كانت تدخل يوميا قبل الحرب. تقول "تانيا هاري"، وهي مديرة منظمة غير الحكومية تعمل على الضغط من أجل حرية حركة البضائع والأشخاص إلى القطاع: "كان ذلك في وضع كانت عملية الإنتاج الغذائي تحدث داخل غزة" وتضيف "اليوم ليس هناك تقريبا أي إنتاج يمكننا الحديث عنه، لا زراعة ولا صيد أسماك."

ويصر المسؤولون الإسرائيليون على أن هناك الكثير من الشاحنات غير المستخدمة الإضافية في نيتسانا وكيريم شالوم، مما يعني أنه إن أرادت الأمم المتحدة جلب المزيد من المساعدات إلى غزة، فإنها تستطيع فعل ذلك. ويصف عمال الإغاثة هذا الأمر بأنه عملية مخادعة، "كما لو كان بإمكاننا فقط التلويح بعصا سحرية لجعل المزيد من الشاحنات تظهر"، كما يقول أحدهم.

إن عمليات التفتيش هي عمليات معقدة جدا. دفعت الحكومة الهولندية تكاليف أجهزة المسح بالأشعة السينية في معبر كرم أبو سالم، والتي تم استخدامها منذ ديسمبر/كانون الأول، والتي تخول مسح وفحص الشاحنات دون الحاجة إلى تفريغها وإعادة تحميلها – لكن إسرائيل تصر على تفتيشها يدويا، ممّا يضيف ساعات طويلة خلال كل عملية تسليم. إن ساعات العمل في المعابر محدودة،

كما أن السائقين داخل غزة يشعرون بالقلق بشأن عملهم بعد حلول الظلام، لأنه غالبا ما يصير القصف الإسرائيلي أعنف من ساعات النهار.

ممنوع تحلية المياه

تتوفر سلطات الاحتلال الإسرائيلي على قائمة دائمة التغير من "المواد ذات الاستخدام المزدوج" المحظورة دخولها إلى غزة لأنهم يقولون إن لها بعض الأغراض العسكرية. قد تكون عملية تحلية المياه داخل غزة أكثر كفاءة من نقل المياه المعبأة بالشاحنات، لكن قطع الغيار التي تحتاجها محطات تحلية المياه مدرجة ضمن القائمة المحظورة، وبالتالي فهي ممنوعة من الدخول، بالإضافة إلى العشرات من المولدات الكهربائية التي تبرعت بها دولة الكويت، إلى جانب ألواح الطاقة الشمسية والمصابيح التي تعمل بطاقة الشمس، كما أنهم يعتبرون الكثير من أشياء ذات استخدام مزدوج: حيث تم رفض البطاريات والنقالات وأجهزة التدفئة على أساس أنه يمكن لمقاتلي حماس أن يستخدموها.

هناك مشكلة أخرى وهي تتعلق بما يتم إرساله وما لا يتم إرساله. تقوم الدول المتبرعة بإرسال كل ما استطاعت جمعه من سلع وأدوات، وهي الأغراض التي لا تحتاجها غزة دائمًا. يقول لازاريني: "في البداية رأينا شحنات محملة بلقاحات كوفيد، وهي بالتأكيد واحدة من آخر الأشياء التي نحتاجها الآن"، ويضيف "إن بعض ما يتم إرساله لا يتطابق دائمًا مع ما هو مطلوب على الأرض."

تنتقد المنظمات الإنسانية بشكل هادئ دور مصر باعتبارها القناة الرئيسية لتمرير المساعدات إلى داخل غزة، وبالتسبب في بعض المشاكل اللوجستية. لكن أحد مسؤولي الأمم المتحدة في القدس يقول أيضاً إن الهلال الأحمر المصري، المسؤول عن توصيل المساعدات إلى رفح، "ليس مختصاً"، بسبب الفساد المتفشي في الدولة، حيث تختفي بعض السلع المكلفة من المستودعات بينما تصل بضائع منتهية الصلاحية إلى غزة. وحرصاً منها على تحقيق الربح المادي من خلال عملية المساعدات، تبيع الشركات المصرية منتجات غير أساسية، مثل الشوكولاتة، والتي يتم تحميلها على شاحنات المساعدات المتجهة نحو غزة.

> **تقوم الدول المتبرعة بإرسال كل ما استطاعت جمعه من سلع وأدوات، وهي الأغراض التي لا تحتاجها غزة دائمًا**

إنها عملية مرهقة للغاية بالنسبة لوظفي المنظمات غير الحكومية والتي كانت تعمل في غزة من خلال التسجيل في مصر. ويحاول البعض النشطاء الإنسانيين إنشاء مركز عمليات إنسانية في الأردن، حيث يمكنهم العمل بسهولة أكبر، فيما يتحدث الدبلوماسيون عن إجراء طريق بحري عبر قبرص، لتجنب الازدحام والفساد المتفشي في الجانب المصري من معبر رفح. وقد سبق للأردن وأن أجرى عدة عمليات إسقاط جوي للإعانات، لكنها كانت عشوائية ومكلفة للغاية.

ومع ذلك، فإن أفضل طريقة لتزويد غزة بالإمدادات ستكون عبر إسرائيل، وهي الطريقة التي كانت تدخل بها حوالي ثلثا البضائع إلى القطاع قبل السابع من أكتوبر 2023، حيث كان يتم طلب أكثر من 90% من هذه الشحنات من قبل الشركات الخاصة؛ فيما خصصت 4% منها فقط منها إلى وكالات الإغاثة الإنسانية، والتي كانت تحصل على معظم احتياجاتها من الشركات الخاصة داخل قطاع غزة. لكن اليوم، تتجه معظم الشاحنات التي تصل إلى غزة مباشرة إلى مراكز الأمم المتحدة (سمحت إسرائيل بشحنة تجارية صغيرة في الشهر الماضي) لا يتضح حجم عمل القطاع الخاص إن كان لا يزال على حاله داخل غزة بحيث تم قصف المستودعات السلعية والشاحنات، واستشهد العديد من السائقين والتجار الفلسطينيين، لكن عمال الإغاثة يعتقدون أن هذا الأمر لا يزال قابلاً للتطبيق.

إسرائيل هي المسؤول

يتطلب الأمر أن تسمح إسرائيل بدخول الشحنات من أراضيها، يعترف مسؤول أمني إسرائيلي قائلاً: "سيحدث ذلك في نهاية المطاف، لكن السياسيين يماطلون". وإذا لم تتمكن الشركات داخل غزة من التعامل من الشركات الإسرائيلية، فيمكنها اللجوء إلى الموردين في الضفة الغربية، الذين كانوا قبل الحرب يرسلون حوالي 25% من البضائع إلى غزة، بحيث غالبًا ما تكون البضائع هناك أرخص من تلك البضائع الموجودة في إسرائيل.

كما يمكن أيضا لدولة الاحتلال الصهيوني أن تقدم المساعدات بشكل مباشر. إن حكومة بنيامين نتنياهو، التي تعتمد على أعضاء من اليمين المتطرف في ائتلافها، تكره تزويد غزة بالغذاء والدواء، كما هو الحال مع العديد من الإسرائيليين الآخرين. ومع ذلك، لا يزال لدى جيش الاحتلال القدرة والموارد اللازمة لجلب المزيد من الإمدادات.

إن إسرائيل هي بلا شك القوة المحتلة لأجزاء كبيرة على الأقل من قطاع غزة. وبالتالي فإن القانون الدولي يفرض عليها استخدام كافة الوسائل المتاحة لضمان حصول سكان غزة على ما يكفيهم من الغذاء والدواء. ويقول أحد القادة الإسرائيليين "إن الجيش مستعد لتزويد غزة بالإمدادات إن ورده أمر للقيام بذلك."

وعلاوة على ذلك، يفترض أن الحرب ستستمر لأشهر، سيكون وقف إطلاق النار لفترة طويلة هو أفضل وسيلة لإغداق غزة بالمساعدات التي تحتاج إليها، لكن المسؤولين الإسرائيليين أوضحوا أنهم يخططون لمواصلة القتال. تقول السيدة هاري: "نحن نتحدث عن الخدمات اللوجستية لأنه ليس أمامنا أي خيار آخر."





عبد الأحد السبتي

عام غزة: علامات الماضي والحاضر

قضيت سنوات عديدة في الاشتغال حول تاريخ الذاكرة الجماعية في المغرب، وانصب اهتمامي بشكل أدق حول أسلوب التأريخ بالحدث الذي شكل أحد خصائص الذاكرة الشفوية، وهو أسلوب في طور الانقراض، يعود من حين لآخر في الحديث الشفوي والإبداع الروائي والخطاب الصحفي أو السياسي. وغالبا ما يتم التأريخ بالكارثة الطبيعية أو المعركة العسكرية.

أستحضر على سبيل المثال ثلاثة "أعوام" أرّخ بها المغاربة في سياق الحرب العالمية الثانية، وهي "عام البون" نسبة إلى ظاهرة بطاقات التموين التي تم العمل بها في إطار سياسة تقنين المواد الأساسية ابتداء من سنة 1940، و"عام الماريكان" ويقصد به الإنزال الأمريكي الذي تم في أواخر سنة 1942 في بعض موانئ الساحل الأطلنتي المغربي، وقد مثّل منعطفا استراتيجيا في مسار الحرب العالمية، ثم كان التأريخ بـ"عام الجوع" (1945) الذي وافق الكارثة التي وصفها البعض بـ"مجاعة القرن".

شاءت الصدفة أن تزامن انتهائي من تحرير كتاب من عام الفيل إلى عام الماريكان مع اندلاع جائحة كورونا التي حملت معالم زمنها، وشكّلت الوباء المعوْلم بامتياز. وضعتُ آنذاك نصًّا يحمل عنوان "شذرات في عام كورونا"، حاولت فيه مواكبة الحدث في خصائصه ومستوياته. ثم تقاطع تراجع الوباء مع بداية جفاف طويل دخل حاليا في موسمه الفلاحي السادس. وحين جاء "طوفان الأقصى" وتلته حرب غزة، اختمرت في ذهني نفس المبادرة، وأحسست بأن الحدث الجديد يتوفر على قوة وكثافة تجعلان منه علامة زمنية من شأنها أن تبصم الذاكرة الجماعية في المغرب وعلى نطاقات أوسع.

> **شاءت الصدفة أن تزامن انتهائي من تحرير كتاب من عام الفيل إلى عام الماريكان مع اندلاع جائحة كورونا**

كرونولوجيات متقاطعة

لست مؤرخا متخصصا في موضوع القضية الفلسطينية، ومع ذلك فعندما جاء "طوفان الأقصى" في سابع أكتوبر من سنة 2023، وشرعت القوات الإسرائيلية في تدمير القطاع وتقتيل ساكنته، تولد لدي شعور بالحاجة إلى استكمال معرفتي بمجريات ومنعرجات الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي منذ مرحلة انطلاقه. وفكرت تلقائيا في الأداة الكلاسيكية التي يعتمدها المسح التاريخي، وهي الكرونولوجيا، وتتبع تسلسل الوقائع عبر الزمن.

انتبهت إلى أن وسائل الإعلام ربطت الحدث الجديد بأحداث سابقة تشكل في الذاكرة علامات زمنية قوية. قيل عن عملية حماس إنها جاءت خمسون سنة بعد حرب أكتوبر 1973. وبعد انطلاق القصف الإسرائيلي، برزت ذاكرة "النكبة" (1948) التي بصمت الذاكرة الفلسطينية قبل خمس وسبعين سنة، في سياق تأسيس الدولة الصهيونية، وقيل إننا أمام "النكبة الثانية".

وفي مستوى آخر، من المناسب أن نسترجع حدثتي الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987-1993)، (2000 - 2005)،



وهي التي أُطلق عليها اسم "انتفاضة الأقصى". ومن اللافت أن تأسيس حركة "حماس" تم في سنة انطلاق الانتفاضة الأولى، بينما تزامن انتهاء نفس الانتفاضة مع اتفاقية أوسلو التي تم بموجبها إحداث "السلطة الفلسطينية" غير السيادية. أما الانتفاضة الثانية، فقد كانت شرارة انطلاقها هي قيام الجنرال شارون بتحدي مشاعر المسلمين عندما وطأت قدماه حرم المسجد الشهير وهو مُحاط بعشرات رجال الأمن.

عندما بدأت أتقدم في جمع المعطيات الضرورية لبناء الكرونولوجيا، وجدت نفسي أمام غابة كثيفة من التواريخ والوقائع، وأمام صعوبة انتقاء العناصر الضرورية. وكلما تطورت الأحداث التي تلت "طوفان الأقصى"، كلما أوردت مقالات تحليلية عديدة بعض الأحداث التي تساعد على فهم المنطق العام للمواجهة الدائرة داخل غزة وفي بعض المناطق المحيطة بها داخل فلسطين وخارجها، ولاسيما في الضفة الغربية وجنوب لبنان. وبالتالي أصبحت أواجه عددا من الكرونولوجيات المتقاطعة، وتتمثل محاورها على سبيل المثال لا الحصر في: تطور دولة إسرائيل، والمقاومة الفلسطينية بأحداثها وفصائلها، والحروب العربية-الإسرائيلية، والتحولات السياسية التي شهدتها دول المنطقة ابتداء من ثورة "الضباط الأحرار" بمصر سنة 1952، ومؤتمرات القمة العربية، وأصداء القضية الفلسطينية خارج المنطقة العربية، وحضور القضية الفلسطينية في المنتظم الدولي.

يمكن كذلك أن تأركز الكرونولوجيا على تاريخ غزة التي تتفرد بعدد من التطورات ومن بينها اختلاف هويات المحتلين، ومختلف أشكال الصمود والمقاومة. كان أول احتلال إسرائيلي للقطاع خلال سنتي 1956 و1957 بهدف القضاء على الفدائيين الفلسطينيين. وبعد ذلك خضعت غزة للسلطة المصرية. واحتلت إسرائيل القطاع للمرة الثانية خلال حرب 1967 إلى جانب سيناء والضفة الغربية والقدس الشرقية والجولان. وفي سنة 1971 أمر شارون بهجوم المدرعات والجرافات الإسرائيلية على مخيمات اللاجئين بغزة. وفي سنة 2004 شنت إسرائيل حربا أخرى على غزة على إثر قتل ثلاثة أطفال إسرائيليين. واستمر احتلال القطاع حتى سنة 2005 حيث تزامن الانسحاب الإسرائيلي مع نهاية الانتفاضة الثانية. وفي السنة التالية فازت حركة "حماس" بالانتخابات التشريعية، وبعد سنة أخرى خضع القطاع للحصار الإسرائيلي، واندلعت الحرب بين إسرائيل وغزة في سنة 2008، ودام الحصار حتى عملية "طوفان الأقصى" في سابع أكتوبر 2023، فتمَّ تشديده ابتداء من اليوم التالي، ومَنعت الساكنة من استجلاب الأغذية والأدوية والماء والكهرباء والوقود.

في سنة 2002، أصدر إينياسيو رامُوني، مدير شهرية لومُوند ديبلُوماتيك كتابا يحمل عنوان حروب القرن الواحد والعشرين. مخاوف ومخاطر جديدة (الترجمة العربية: 2007). وقد خصص المؤلف الفصل الثاني لموضوع "الشرق الأدنى: حرب المائة سنة الجديدة"، وهي صيغة متداولة تُحيل على الحرب التي دارت بين المملكتين الفرنسية والأنجليزية في أواخر "العصر الوسيط"، فيما بين سنتي 1336 و1453، وانتهت بانتصار فرنسا.

وضع المؤلف القضية الفلسطينية ضمن أهم الصراعات التي بدأت ترسم ملامح القرن الواحد والعشرين، فقد انطلق من حدث 11 شتنبر 2001، وبعد أن تعرض لموضوع الشرق الأدنى اهتم بالعولمة والحركة المعادية لها، وحرب كُوسُوفُو وعلاقتها بالنظام الدولي الجديد، والمخاطر التي تهدّد النظام البيئي العالمي.

تصورت أن منظور "حرب المائة سنة" يُفيد في التأطير الزمني لتاريخ المواجهة بين شعب فلسطين ودولة الحركة الصهيونية، بغض النظر عن الاختلاف البديهي بين سياق أوربا في العصر الوسيط وبين سياق المشرق العربي ابتداء من ظرفية الحرب العالمية الأولى. كيف انطلق الصراع؟ وكيف كان الوضع قُبيل عملية "طوفان الأقصى"؟ هذان السؤالان لا يخلوان من فائدة إذ يكشفان عن بعض الثوابت في الطريقة التي تعاملت بها أطراف الصراع مع بعضها البعض.

فيما يخص انطلاق مشروع الدولة الصهيونية، هناك سلسلة من الأحداث

المترابطة. هناك التقارب الذي تم خلال السنوات الأولى من الحرب بين ثلاثة أطراف، وهي أسرة حسين بن علي أمير الحجاز، والقوميين العرب، وممثلي الحكم الأنجليزي في مصر، على أساس دعم الثورة العربية ضد العثمانيين، وقيام خلافة عربية تُسند لشريف مكة.

وبالموازاة مع ذلك، هناك اتفاق سايكس-بيكو بين أنجلترا وفرنسا (1916) القاضي بتقسيم المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية، بحيث يعود العراق وفلسطين لأنجلترا، وسوريا ولبنان لفرنسا. وفي نفس المسلسل، نصّ وعد بلفور (1917) على أن "حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، وستبذل ما في وسعها لتحقيق هذه الغاية، على ألا يتم عمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية، التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن". وخلال المفاوضات التي تلت الحرب، تحايلت دول المعسكر على مبدأ "تقرير المصير" الذي أعلنه الرئيس الأمريكي وُودرُو ويلسون سنة 1918، وأقرت في سنة 1922 نظام الانتداب وفق توزيع يوافق ما ورد في اتفاقية سايكس-بيكو السالفة الذكر، وهو ما يعني خضوع فلسطين للانتداب الأنجليزي.

أما نقطة الوصول التي تتمثل في تطورات سنة 2023، فيمكن رسم معالمها في العناصر التالية. مرت ثلاثون سنة على اتفاقية أوسلو التي أصبحت بمثابة سراب يعكس المسافة بين الوعود والمواقف الملموسة. وقد أشار البعض إلى عدد من نقائصها، مثل عدم تنصيصها على عدد من المبادئ: حق عودة اللاجئين، وتقرير المصير، والدولة الفلسطينية، وإيقاف مشاريع الاستيطان.

بعد مرور سنتين على الاتفاقية، تم اغتيال الوزير الأول إسحاق رابين من طرف منظمة إسرائيلية متطرفة. وفي سنة 1996، تولّى نتنياهو الوزارة الأولى، فسارع إلى وقف المفاوضات، وعطّل اتفاقية أوسلو، وخرق مقررات الأمم المتحدة. وقد اتبع استراتيجية اتضحت معالمها بشكل تدريجي، وأعطت "ثمارها"

> **كيف انطلق الصراع؟ وكيف كان الوضع قُبيل عملية "طوفان الأقصى"؟ هذان السؤالان لا يخلوان من فائدة**

بشكل واضح في بداية العشرينيات، وهي تتكون من مجموعة من العناصر متكاملة، بناء شرعية إقليمية عن طريق خطة التطبيع مع عدد من دول المنطقة في إطار "الاتفاقيات الإبراهيمية" بمساعدة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب صاحب "صفقة القرن"، وإبعاد أفق الحل السياسي للقضية الفلسطينية، والاستمرار في مضايقة وتعنيف الفلسطينيين في الضفة الغربية والقدس الشرقية، وحصار قطاع غزة، دون أن تثير هذه السياسة المتماسكة ردود فعل قوية من طرف القوى العربية والمنتظم الدولي.

لكن سنة 2023 تميّزت كذلك بالحركة الاحتجاجية العارمة ضد الإصلاحات القضائية التي باشرها نتنياهو، والتي تؤشر إلى تحول سلطوي واضح في طبيعة الدولة. دامت هذه الحركة زهاء ثمانية أشهر، وخلقت مناخا يوحي بقرب اندلاع الحرب الأهلية، واعتُبرت بمثابة أكبر أزمة سياسية داخلية منذ قيام الدولة. وقد ساهمت في الحركة الاحتجاجية أصوات سياسية من اليسار والليبراليين، وعناصر من أوساط رجال الأعمال وضباط عسكريين سابقين وشباب من الجنود الاحتياطيين. وقد صدرت آنذاك كتابات لأدباء ومفكرين يهود عبروا عن قلق وجودي حول هوية دولة إسرائيل: بين الدولة المدنية، والدولة الدينية، والدولة الملجأ. وتعود بي الذاكرة إلى بيانات جماعية ومواقف عبر عنها فلاسفة ومثقفون وباحثون يهود تحت عناوين مثل "الديموقراطية في خطر في إسرائيل"، أو "إسرائيل على شفا الهاوية".

بين ملابسات السياسة الأنجليزية في فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وسياق حرب غزة، هناك إذن قاسم مشترك، يتمثل في أسلوب القوى



السائدة إزاء القضية الفلسطينية، بين الخداع والتمويه.

من الأرشيف إلى الدِيسْتُوبيا بالمباشر

ابتداء من سنة 1948، احتمت دولة إسرائيل بمبدأ الآجال التي تقيّد حق المؤرخين في الاطلاع على الأرشيفات العمومية، وبعد انصرام ثلاثة عقود، انهمكت مجموعة من المؤرخين في قراءة الملفات الوثائقية المتعلقة بوقائع النكبة، وتوصلوا إلى مادة غزيرة من المعطيات التي تفند السردية الرسمية، ولا سيما وقائع طرد الفلسطينيين وتعريضهم لمختلف أشكال الترهيب، وجرائم الحرب، وخلق مشكلة اللاجئين. وقد تبين أن "الوكالة اليهودية" أقامت في الواقع ثلاث لجان ترحيل، تعود الأولى إلى سنة 1937، والثانية إلى سنة 1942، والثالثة إلى سنة 1948.

غرفت هذه الظاهرة العلمية المتفردة بـ"المؤرخين الإسرائيليين الجدد"، وبرزت ضمنها أسماء مثل سمحا فلابان وبيني موريس وأفي شلايم وتوم سيغف وإيلان بابه صاحب كتاب التطهير العرقي في فلسطين. وقد تجنّد مؤرخون مُوالون للمؤسسة للتشكيك في كتابات "المؤرخين الإسرائيليين الجدد"، حيث اتهموهم بمجانبة الموضوعية والانحياز إلى الطرف الفلسطيني، وفي آن واحد كلفت الدولة عددا من أجهزة الأمن السرية بإجراء فحص شامل للأرشيفات، وإعادة إغلاق الملفات المتعلقة بالنكبة والقضية الفلسطينية والصراع العربي-الفلسطيني.

بعد مرور خمس وسبعين سنة على نكبة 1948، عرفت أوضاع الإعلام انقلابا شاملا، حيث ألغيت المسافة الزمنية بين الحدث والخبر، بحيث أصبحت الوقائع تُنقل إلى الجمهور بصيغة "المباشر" عبر القنوات التلفزية والشبكة العنكبوتية وشاشات الهاتف المحمول. وتكمن المفارقة في أن الحرب التي تلت عملية "طوفان الأقصى" اتخذت صفة عنف هستيري وقع الإجماع



على وصف أشكاله بـ"غير المسبوقة". وكأننا أمام واقع يتجاوز حدود الممكن، أو واقع أقوى من التخييل. ويحضُر هنا مفهوم "الدّيسْتوبيا" (معناها الحرْفي: "المكان المختل")، وهو جنس روائي يصور عالما يتعمد فيه المؤلف عملية تضخيم الأهوال المحتملة في عالم الغد، عكس "اليوتوبيا" (معناها الحرْفي: "اللاّمكان") التي يتعمد مؤلفها رسم ملامح مجتمع مثالي، ويجمع بين هذين الجنسيْن موقف نقد الواقع القائم.

أعلن الجيش الإسرائيلي أنه يخوض حربه ضد غزة من أجل تحقيق هدفين، وهما تحرير أسرى عملية "طوفان الأقصى"، والقضاء على منظمة "حماس". وإذا بالوقائع تفيد بأن الهدفين المعلنيْن بعيدا المنال، وأصبح العالم يتتبع بالمباشر عمليات التدمير العشوائي للأبراج السكنية والمستشفيات والمدارس وأماكن العبادة ومقرات الهيئات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة وكافة البنيات التحتية المدنية، وعدم التمييز بين المقاتلين والمدنيين والنساء والأطفال والأطر الطبية والصحفيين، إلى جانب المضاعفات التي تتصل بحرمان المنطقة من التزود بالأغذية والماء والكهرباء والأدوية والوقود.

أثارت هذه الحرب حركة احتجاج واسعة النطاق عبر المنطقة العربية والإسلامية والقوى الغربية. وكان رد الفعل من الجانب الإسرائيلي هو التحدي: تحدي حركات الاحتجاج، وتحدي الأقلام والتصريحات والهيئات التي استعملت أوصافا من قبيل "العقاب الجماعي"، و"جرائم الحرب"، و"التطهير العرقي"، و"الإبادة الجماعية"، وتحدّي المنتظم الدولي وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وإهانة أمينها العام لأنه عبّر عن موقفه إزاء أسلوب العنف الدائر في غزة.

هذا التصلب لا يكتنفه الغموض، لأنه يعبر عن امتياز اللاّعقاب الذي تمتعت به إسرائيل على امتداد عدة عقود. وهذا الامتياز يتجدد في الحرب الراهنة لأن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت منذ البداية عن دعمها العسكري والمعنوي للدولة اليهودية، وأعلن الرئيس الأمريكي أنه لم يضع "أية خطوط حمراء لإسرائيل".

وقرن القول بالفعل، إذ تم استقدام وحدات من الأسطول العسكري الأمريكي إلى جوار ساحل منطقة الحرب، واستمر تزويد إسرائيل بالسلاح والعتاد، وقدم عدد من كبار الضباط الأمريكيين تقييماتهم وتوجيهاتهم خلال اجتماعات "مجلس الحرب" الإسرائيلي. وبعدما تزايدت حدة موقف التنديد بقتل المدنيين داخل الحزب الديموقراطي بل وحتى داخل الإدارة الأمريكية، اكتفى الرئيس بايدن بموقف أقرب إلى العتاب اللفظي الذي لا يقترن بإجراءات ملموسة. والمؤشر الأساسي هو أن الفيتو الأمريكي ما زال يمنع مجلس الأمن الأممي من إصدار موقف يدعو إلى وقف إطلاق النار، وهو ما يعكس بشكل واضح واقع النظام الدولي في تمثيلية العالم الراهن.

سرديات وممارسات

إن الدعم اللامشروط الذي توفره الولايات المتحدة للعنف الإسرائيلي اللامحدود، معناه أن البلدين يتبنيان سردية مشتركة، وهي أن إسرائيل توجد في موقف الدفاع عن النفس، وبالتالي فوقف إطلاق النار معناه أن الدولة الإسرائيلية معرّضة للخطر.

وتتولد عن هذه السردية مقولات متعددة من قبيل: إن عملية "طوفان الأقصى" أخطر عملية تعرضت لها الدولة منذ تأسيسها سنة 1948، وهي أكبر مأساة تعرض لها الشعب اليهودي منذ الهولوكوست النازي. وبالتالي فمقاتلو "حماس" ليسوا فقط مجموعة إرهابية، بل هم إلى جانب ذلك "حفدة النازيين"، أو "النازيون الجدد". وهذا ما أدى إلى استعادة المقولة التي تربط بين معاداة الصهيونية ومعاداة اليهود ومعاداة السامية، وهو في الواقع مفهوم ارتبط تاريخيا بما عانى منه اليهود في عدد من البلدان الأوربية قبل وخلال الحقبة النازية. وبالإضافة إلى ذلك، فصفة السامية لا تخص اليهود، ويهود العالم لا يجمعون على مساندة التوسع



الدعم اللامشروط الذي توفره الولايات المتحدة للعنف الإسرائيلي معناه أن البلدين يتبنيان سردية مشتركة

الإسرائيلي، والفلسطينيون ليسوا كلهم مسلمين.

منذ بداية حرب غزة، مثلت تهمة معاداة السامية في الولايات المتحدة ومعظم البلدان الغربية ذريعة فعالة لمنع إبداء رأي يدافع عن الفلسطينيين أو ينتقد العنف

والتحريض على الكراهية والقتل. وقد تتبع جمهور المشاهدين أسلوب القنوات التلفزية الفرنسية وهي تفرض على ضيوفها أن يبدؤوا بنعت حماس بالمنظمة الإرهابية، وتمنع عليهم استعمال صيغة "نعم ولكن ...". وعاشت كُبريات الجامعات الأمريكية حملات التشهير بالطلبة والأساتذة ورؤساء الجامعات الذي "انحرفوا" عن الخط السائد، وكان من أبرز هذه الوقائع استقالة رئيسة جامعة هَارْفَارْد بعد حملة التشنيع التي استهدفتها بشكل منهجي.

وتدل جملة من المؤشرات على أن الخط السائد لا يقتصر على المؤسسات الإعلامية، بل إن أحداث غزة خلقت شرخا حقيقيا داخل الحقل الثقافي والفكري الغربي، وترسّخت عبر بلدان المنطقة العربية وبلدان الجنوب بشكل عام فكرة تنكُّر الغرب للمبادئ الكونية التي ظل ينادي بها منذ زمن التنوير.

كلما طالت حرب غزة، كلما تبيَّن أن إسرائيل تواصل الاحتماء بخطاب الضحية لإخفاء طبيعتها التوسعية وتعاملها مع الشعب الفلسطيني تعاملا لم يتخلص من صبغته الاستعمارية التي أسس لها وعد بلفور. وخصوصية هذه التجربة هي أنها تسعى إلى التخلص من الفلسطينيين باعتبارهم عنصرا مزعجا يطالب بحقوق ليس أهلا لها، وعلى رأسها حق إقامة دولة مستقلة ذات سيادة، وهو ما يعيد إلى الذاكرة فكرة "الأرض بدون شعب لشعب بدون أرض".

وهناك مؤشرات عديدة في هذا الاتجاه، بعضها سبق عملية "طوفان الأقصى"، وبعضها رافق حرب التدمير والإبادة. تتذكر تصريحات مثل المسؤول الإسرائيلي الذي نفى وجود شعب فلسطيني، ومسؤول آخر نعت الفلسطينيين بـ"الحيوانات البشرية"، وآخر اعتبر أن سكان غزة يستحقون أن يُقضى عليهم بالسلاح النووي. كل هذه العبارات تنتمي إلى مجال العنف الرمزي الذي قد يثير أزمات سياسية حقيقية في سياقات مغايرة.

وعندما نعود إلى سياق ما قبل العشوائي الإسرائيلي. قيل إن حرية التعبير تنتهي حين يبدأ انتقاد إسرائيل. وقد استعاد الغرب أجواء المكارثية التي ألصقت بشرائح واسعة من الفنانين والمفكرين تهمة التعاطف مع الشيوعية. وحين ننتقل إلى الأزمة الراهنة، أصبح التعاطف مع الفلسطينيين يُنعت بمعاداة السامية

عملية "حماس"، فإننا نكتشف تزايد خطة الاستيطان في الضفة الغربية والقدس الشرقية، والملاحظ أن امتداد الحرب جعل نتنياهو يتبنّى مواقف حلفائه من اليمين المتطرف ويعلن معارضته لحل الدولتين، وتزايدت الأصوات الداعية إلى إقامة المستوطنات اليهودية في غزة بعد تهجير سكانها، على أساس أن مثل هذه الخطة سوف تمحو مخلفات قرار أرييل شارون بالانسحاب من غزة سنة 2005، وهو قرار اعتبرته بعض الأوساط الإسرائيلية بمثابة صدمة حقيقية.

امتدادات

كل هذه التصريحات تعود بنا إلى مشروع "إسرائيل الكبرى" في الوقت الذي يردد فيه أنصار السلام عبر العالم أن تجنُّب عودة العنف يقتضي إيجاد حل سياسي يلبي حق الشعب الفلسطيني في بناء كيانه السيادي. وفي غياب ذلك، فالاحتلال يستدعي المقاومة، وذلك ما أكده استمرار المقاومة بالرغم من استمرار التدمير والتقتيل، ونجاحها في إعادة وضع القضية الفلسطينية في مركز الاهتمام العالمي.

في سنة 2016، أصدر الباحث الفرنسي بِرْتْرانْ بادي كتابا يحمل عنوان لم نعُد وحدنا في العالم. نظرة مغايرة حول "النظام الدولي". يحلل المؤلف تراجع مكانة الغرب في توجيه مستقبل العالم، وقد استوقفتني فكرتان: تذكِّر الفكرة الأولى بأن القوى الغربية أنجزت تصفية الاستعمار في المشرق العربي بطريقة جعلت من هذه المنطقة بركانا وحقل ألغام، وتسجل الفكرة الثانية مفارقة تسم تحولات العالم الراهن، وتتمثل في عجز القوة وقوة الضعفاء. في اعتقادي أن الفرضيتين تستحقان التأمل والمتابعة وأخذ العبرة على ضوء حرب غزة وامتداداتها العالمية.

الرباط، 5 يناير 2024

عبد الأحد السبتي / مؤرخ

هل تخشى الإنسانيات ذكاء الآلة؟

هل ما تزال هناك حاجة إلى المفكر والباحث والخبير أمام هذا التطور الهائل والمتسارع في الذكاء الصناعي؟ هل ما يزال القارئ والطالب- والمتلقي عموما- في حاجة إلى من يفكر ويتخيل، ويبدع ويكتب، ويصنع عوالم القراءة والإمتاع والمؤانسة، ويخلق دوائر النقد والتحليل والجدل؟ أم أن أشكال التفكير والبحث، وحتى الإبداع، هذه الأشكال التقليدية التي يعرفها الإنسان منذ اختراع الأبجدية إلى اليوم، باتت في مهب ريح الخوارزميات والبرمجيات الرقمية التي تهب اليوم بعتو جبار؟

بصرف النظر عن النقاش الإعلامي المتمحور حول إيجابيات الذكاء الصناعي أو سلبياته، يستدعي السؤال الوارد في عنوان هذه المقالة الانتباه إلى خطورة هذا المكون الرقمي الجديد، خاصة في ما يتصل بالبحوث والدراسات الأكاديمية في حقل الإنسانيات. وتكمن خطورته في الانتقال بمراحل البحث والدراسة من التراكم المعرفي المتدرج إلى 'المنجز' السريع والغزير. يتميز التراكم المعرفي، كما يعلم الجميع، بطول النفس الذي يخلق باحثين متمرسين وأبحاثا ودراسات عميقة وجيدة. في حين، يبدو أن الذكاء الصناعي يفقد الطالب والباحث هذه الميزة، ويقود إلى 'إنتاج' منفلت من شروط البحث العلمي، وغير خاضع لسيرورة الإشكالية، بما تقتضيه من أسئلة وفرضيات وأجوبة واستنتاجات، ومن تمحيص وتدقيق ومقارنة، الخ.

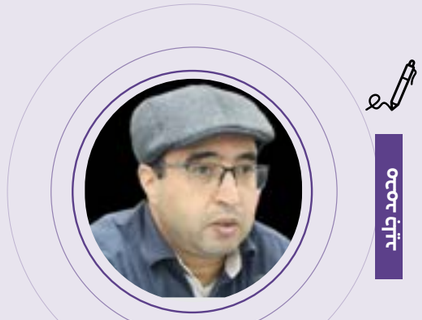
ولأن البحث العلمي، خاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، يرتبط أساسا بتوظيف القدرات العقلية البشرية، يتحول الذكاء الصناعي إلى طامة كبرى، كونه يعمل على أتمتة هذه القدرات، بل يجمدها ويلغيها حين يحل بدلا عنها في جمع البيانات وتحليل النصوص والإجابة عن الإشكاليات، الخ. أضف إلى ذلك أنه يسقط البحث في 'سيولة' السلعة الاستهلاكية، بتعبير عالم الاجتماع البولوني 'زيغمونت باومان'؛ أي أنه يحوله من مجال الإنتاج المرتبط بالتفكير العقلاني الممتد في الزمن إلى مجال محكوم بالاستهلاك العابر والزائل. هكذا، تصير الكتب والدراسات مجرد 'موضة' تحيا مدة قصيرة، قبل أن تضمحل وتتلاشى.

لنأخذ حقل الترجمة، على سبيل المثال. لقد اعتدنا أن نسمع هذه الجملة التي تقول إن كل ترجمة ليست دقيقة، مهما بلغ المترجم من الحذق والبراعة. لكن ما الذي يمكن أن نقوله عن الترجمة الآلية؟ هل يمكن أن تكون دقيقة، وأن تتحدى ترجمة الإنسان؟ تفيد ملاحظة الترجمة الآلية، التي تنجزها محركات البحث المختلفة أو البرمجيات الإلكترونية الخاصة، أنها سريعة، لكنها تفتقر إلى الدقة التامة. بل إن دقتها أقل بكثير مما ينجزه العقل البشري. يعود سبب ذلك إلى عدم إلمام هذه المحركات والبرمجيات كلها بالأبعاد الثقافية التي تتسم بها النصوص، وإلى عجزها عن إيجاد مدلولات الكلمات ومعانيها حسب سياقاتها في هذه النصوص. وغالبا ما تسيء تفسير الصور البلاغية وتأويلها.

وبما أن الذكاء الصناعي أخذ يطرح تحديات معقدة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، سارعت العديد من المؤسسات الأكاديمية العالمية إلى مناقشته والإحاطة به. ومما يلفت الانتباه أن تكنولوجيات الذكاء الصناعي قد تلعب دورا مساعدا في مسارات التعليم، كما يقول بعض أنصارها، لكنها تطرح انشغالات أخلاقية، ترتبط من جهة أولى بإضعاف الجهد النظري والفكري الذي يبذله الباحثون والدارسون في إنتاج أبحاثهم ودراساتهم؛ ومن جهة، ثانية بالسرقات الأدبية ومستويات دقة الأفكار والمعلومات المقدمة في هذه الأبحاث والدراسات. والنموذج البارز هو مجال الترجمة، كما سبق القول.

وأخيرا، لا بد أن نتساءل: هل يستطيع الذكاء الصناعي أن يعكس تلك القيم العلمية والثقافية والأخلاقية التي يسعى الباحثون إلى أن تنعكس عبر أبحاثهم ودراساتهم؟ وهل يستطيع كذلك أن يُضَمّن المكتوبَ ذلك الوعي الذي يسعى الباحث إلى تبليغه إلى المتلقين؟ وهل يستطيع أن ينتج المعرفة النقدية والنظرية، البعيدة كل البعد عن المعرفة الإحصائية، التي يبدو أن الذكاء الصناعي يتقنها أكثر من خبرائها أنفسهم؟ ستبقى هذه الأسئلة معلقة حتى يعلن الذكاء الصناعي تفوقه بصورة نهائية، أو يبوء بفشل ذريع أمام العقل البشري.

امسح للاستماع للبودكاست



محمد جليد

الأم وابنتها في الدار المصرية اللبنانية

نادرا ما يتصادف أن تصدر أم كاتبة وابنتها، الكاتبة أيضا، عملين إبداعيين متزامنين عن دار نشر واحدة. هذه حالة الروائية المغربية عائشة البصري وابنتها ريم نجمي، إذ أصدرتا معا روايتين ضمن منشورات الدار المصرية اللبنانية: الأولى بعنوان "رجل اسمه الرغبة"، وهي لعائشة البصري، والثانية بعنوان "العشيق السري لفراو ميركل"، وهي للابنة ريم طبعا.

ورغم ما قد يشي به العنوانان من تشابه من خلال إيحائهما إلى العشق والرغبة، إلا أن الروايتين تتناولان عوالم مختلفة. تدور أحداث الأولى، كما تقول البصري، حول دون جوان يعيش بين فرنسا والهند والمغرب. في حين، تتمحور الرواية الثانية حول حياة الزعيمة الألمانية أنجيلا ميركل السياسية والشخصية.



نقرأ من غلاف الرواية الأولى ما يلي: "أنا خوان رودريغو أمية، سليل دونجوانات الأدب الإنساني، ذئب بري. أحاول أن أبني مجدا بآهات النساء، أبدية صغيرة لذكراي. إن قصدت النساء محاكمتي فأنا بري من دمهن، لم أقتل امرأة بالهجر والإهمال، أنا فقط رجل مصاب بفقدان الذاكرة. أقتل نسائي بالنسيان..."

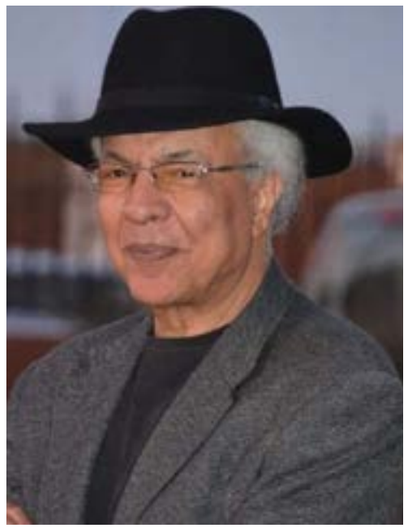
ونقرأ من الثانية ما يلي: "هل للمستشارة الألمانية الشهيرة أنجيلا ميركل عشيق سري؟ هذا ما يدعيه، على الأقل، يونس الخطيب، الشاب السوري، الذي ولد في ألمانيا في أسرة متدينة مهاجرة. تمثل أنجيلا ميركل ليونس ليس فقط القيم الألمانية والأوروبية التي يؤمن بها، وإنما ظل يعتبرها 'حب حياته' في لحظة انفلات غامضة، والتي سيحقق معها خطط مستقبلية اتفقا على تحقيقها بعد أن تترك منصبها كمستشارة."

بوفاة لحسن زينون.. يفقد المغرب فنانا رائدا

رحل الفنان لحسن زينون عن الحياة الدنيا الأسبوع عن سن تناهز ثمانين عاما، بعد أن تعرض لغيبوبة ناتجة عن نزيف في الدماغ خلال الأسابيع القليلة الماضية. وبوفاته يفقد المغرب الفني مخرجا سينمائيا متميزا ورائدا من رواد فن الرقص.

وقد خلف زينون وراء إرثا فنيا متنوعا في مجال الكوريغرافيا، حيث اشتغل الراحل قيد حياته مع عدد من كبار الفنانين في مجالات التمثيل والإخراج والرقص الكوريغرافي. انطلق مساره الفني بوضوح سنة 1978، عندما أسس مع زوجته مدرسة للرقص وشركة "بالي- مسرح زينون" الذي تخرج منه عدد من الراقصين. كما اشتغل لحسن زينون، الذي جذبته السينما، كوريغرافا في العديد من الأفلام. وفي سنة 1991، أخرج أول أفلامه القصيرة 'حالة غثيان'. وتلتها ثلاثة أفلام قصيرة أخرى هي 'صمت' في سنة 2001، و'بيانو' في سنة 2002 ، و'عثرة' في سنة 2003. وقبل ثلاث سنوات، أصدر الراحل كتابا بعنوان 'الحلم الممنوع' ضمن منشورات دار النشر المغربية البلجيكية (مها). وهي تتضمن محطات أساسية في سيرته حياته الإنسانية والفنية.

وقال عنه صديقه المخرج عبد الإله الجوهري: "لحسن زينون يرقص رقصته الأخيرة ويرحل بعد إخبارنا أنه لم يعد بحاجة إلى حياة تحرمه من الخلق والإبداع، حياة بدون خلق لسنوات لأسباب مختلفة لا تستحق أن تعاش.. رحل أنيق السينما المغربية مخلفا وراءه فنا وميتا حسنا، تاركا غصة في قلوب محبيه وأصدقائه؛ لحسن سيرته وحبه لمحيطه الإبداعي.



رِفْقًا بِالْمُقَاوَلَةِ يَا سَادَةً



بقلم أيوب مخلوفي

ما حملني على كتابة هذه المقالة، هو شيء مما استقر في الوعي المهني لكل الفاعلين والمتدخلين داخل مجال الأشغال، من كون المقاولة لم تعد شريكا أساسيا من أجل إنجاح الورش، وإنما هي جهة مستهدفة تتحول عملية مراقبة جودة خدماتها، إلى رغبة في تتبع العثرات وتعجيز عمليات الفعل لصالح كل محاولات الابتزاز وتفريغ كفاءات المقاولة من حافز الإنجاز، العامل الأساسي لاستمرار العطاء بنَفَس متَّقد مفعم بالحماس والإتقان.

رفقا بالمقاولة يا سادة، فما عاد من الممكن الجمع بين رغبة الدولة في تشجيع الكفاءات وإلحاقها بالمؤسسات المهنية الكفيلة بالرفع من قوة الإنتاج، ثم بعد ذلك إذلال هذه الكفاءات عبر تأخير أداء مستحقاتها أو تحميلها كل مسؤوليات التقصير التي يعرفها المشروع من خلال التصميم والدراسة، وحملها على القبول بكل أشكال التعسف المستحكم من قبل إدارة المشروع، وإلا فمسطرة قانون رد المظالم طويلة وشبح الإفلاس مهدد أساسي لاستمرار حياة المقاولة،

وقتل المقاولة هو عطب في عجلة التنمية الاقتصادية للدولة.

هناك ثلاثة محددات ينبغي أن تحكم العلاقة المهنية بين صاحب المشروع، إدارة المشروع والمقاول (المفاعل):

المحدد الأول: قلق النص

نصوص دفتر التحملات لا ينبغي أن تصير أوكارا تختبئ فيها التأويلات من أجل ضرب المقاولة وإخضاعها لكل عمليات الانتهاك الجسيم لمقدراتها، بشكل تعسفي واضح يرتكز على سياق وطني يعرف ضمورا اقتصاديا وتعذيبا رمزيا للمقاولة، يجعلها في ريبة حين ترغب في المشاركة في الصفقات، فتستدعي الفهم السائد من كون أهم عملية يتقنها معدوا النصوص التقنية والعامة هو النسخ واللصق، ثم تستمر هي الأخرى في عملية اللامبالاة، وإلا فشبح العطالة وعدم إبرام أي صفقة. ما يقود إلى لإفلاس الحتمي والفشل المخزي. هناك متنفس قضائي يسمى روح القانون في مقابل نص القانون كما أسس له مونتسكيو، يقول بأن القانون يتبع أعراف المجتمع وليس العكس، وصاحب المشروع، كما هيئة إدارته، ينبغي أن تكون لهم هذه الرؤية الاستباقية في توضيح كافة النصوص وعدم إخضاعها لأي محاولات تأويلية غالبا ما يكون ضحيتها المقاول، وإلا فروح القانون دائما لها وضعية اعتبارية أسبق من نص القانون.

> **من بين أهم عوامل الإحسان في العمل أداء المستحقات في وقتها**



مقاولات البناء والأشغال تحتاج إلى مواكبة ودعم

المحدد الثاني: قلق الأداء

من بين أهم عوامل الإحسان في العمل، هو أداء المستحقات في وقتها، وأداء المستحقات يقابله تمرين مرهق من أجل جمع الأوراق وإمضائها والتطبيع مع الموقعين. في حين ينبغي أن يكون هاجس الأداء قيمة راسخة لدى صاحب المشروع قبل أن يكون لدى المقاولة، كي تهتم هذه الأخيرة بالعمل والجودة فيه وإنهاءه داخل الآجال المحددة وهي مطمئنة البال.

إن تأخير الأداءات أو تعقيد مساطر استحقاقها هو عامل أساسي لكل حالات الإمساك التي يعاني منها المشروع، فتمتلئ أمعاء الورش بكل الفضلات التقنية، ويعاني المقاول هو الآخر من أعراض الجفاف، ويصبح التشنج هو السمة السائدة التي تطبع العلاقات العمودية والأفقية داخل الورش، سواء بين المقول ومستخدميه، أو بين المقاول و باقي الشركاء، أو بين المقاول وصاحب المشروع. لهذا فقلق الأداء ينبغي أن يكون هاجسا يحكم صاحب المشروع ولجنة إدارته.

المحدد الثالث: قلق الشراكة

تعتبر المقاولة خلال مراحل الإنجاز، الشريك الاستراتيجي القادر على تنزيل مخططات المعماري وحسابات المهندس، وهي بذلك تكون العامل الأهم لترجمة الأوراق على أرض الواقع عبر ترسانة من التجهيزات وجيوش من العمال. ولا يمكن بأي حال اعتبار المقاولة ذلك "العطاش" أو "مول الشكارة" بدلالاته المجتمعية القابل لكل أنواع الإذلال في مقابل المال. فالعديدون يعتقدون أن الربح هو جزء كبير من رقم المعاملات، في حين أن هامش ربح المقاولة في ظل الحشو المستمر لدفتر التحملات بما ينفع وما لا ينفع، إضافة إلى التنافس الشرس وغير الشريف في العديد من الصفقات يجعل المقاولة بمثابة المستخدم مع ولي نعمته، كالغريب الذي يتوجب على الجميع مصارعته عوض أن يكون الشريك الذي ينبغي على الجميع دعمه وعونه وتوفير كل شروط العمل المرجو له كي تستمر عملية إنجاز الأشغال في ظروف جيدة و ملائمة.

رفقا بالمقاولة يا سادة..



تلقى أول استدعاء من طرف المدرب روجي شميدت في نونبر 2020، من أجل اللعب في صفوف الفريق الأول لنادي أيندهوفن، بعد فترة من لعبه في الفريق الثاني تحت قيادة المدرب المغربي عادل رمزي، لتأتي مرحلة اللاعب الدولي الهولندي السابق، فإن نيستلروي كمدرب، ويصبح معه إسماعيل منذ ذلك الحين لاعبا أساسيا في الفريق ومؤثرا في نتائجه في الدوري الإيريديفيزي، وكأس عصبة الأبطال الأوربية.

إسماعيل الصيباري..

وجه من مستقبل المنتخب المغربي

محمد الحاجي

في الرباط، عندما جلس ذلك الولد الخجول القادم من هولندا في ندوة صحفية سبقت مباراة للمنتخب الوطني المغربي الأولمبي ضد نظيره الغيني في إطار نهائيات كأس إفريقيا للأمم لأقل من 23 سنة، كانت أخباره قد سبقته بمدة ليست بالقصيرة.. جامعة كرة القدم في بلجيكا، ومدرب منتخب "الشياطين الحمر" آنذاك الإسباني روبيرتو مارتينيز، اتصلوا به وألحوا عليه لحمل قميص البلد الذي يحمل جنسيته.. سأله الصحفيون عن ذلك، وعن سبب تفضيله اللعب في المنتخب المغربي، فأجاب بدون تردد: «المغرب هو اختيار القلب، هو بلد آبائي وأجدادي، كانت هناك بلجيكا التي اتصلت بي، وبعده تواصل معي وليد الركراكي، لكي أكون معه في المنتخب الأول، وقلت له نعم. كنت دائما ألعب للمغرب ابتداء من فئة أقل من 15 سنة، لأن حي للمغرب كبير جدا".

في الثامن والعشرين من شهر يناير من عام 2001، وداخل المستشفى الكبير لبلدة تيراسا الكطلانية بشمال إسبانيا، رأى إسماعيل الصيباري النور بعد أخيه أكرم الذي كان يتسلق الدرجات في أكاديمية البارصا لاماسيا، من أبوين هاجرا من مدينة القصر الكبير في بداية التسعينات واستقرا في البلدة الواقعة بضواحي برشلونة، حيث عرف إسماعيل خطواته الأولى وسط حي يعرف كثافة سكانية مرتفعة من الجالية المغربية، وبه عرف عالم كرة القدم في سن الرابعة من عمره عندما

> **كانت وجهة الأسرة بجميع أفرادها في صيف 2007 إلى ويلبروك بمقاطعة أنفيرس البلجيكية**

سجله والده في نادي سانتا تيراسا للهواة.

بعد سنتين، و بينما إسماعيل يظهر موهبته داخل ناديه الصغير، قرر والداه الرحيل عن إسبانيا نهائيا بعد استفحال الأزمة الإقتصادية الطاحنة التي ضربت البلاد، والتي تركتهم بلا عمل ولا مورد رزق .. كانت وجهة الأسرة بجميع أفرادها في صيف 2007 إلى ويلبروك بمقاطعة أنفيرس البلجيكية، هناك اجتاز إسماعيل وأخوه أكرم اختبارات الدخول لأكاديمية KVC حيث سيكملان دراستهما، و أيضا سيتعلمان اللغة الفلامانية، قبل أن ترصد أعين كشافي نادي بيرشوت موهبة إسماعيل في سن الثانية عشر، ويضموه إلى فئاتهم الصغرى ليلعب فيها أربع مواسم أثبت فيها علو كعبه ضمن الدوريات الجهوية و الوطنية في بلجيكا.

تألق إسماعيل الصيباري ضمن فئات نادي بيرشوت، دفع أندية أندرلخت البلجيكي وإشبيلية الإسباني وأيندهوفن الهولندي إلى السعي في طلبه لمجاورتهم، فاختار أكاديمية عريق العاصمة بروكسيل لتطوير مستواه تحت قيادة اللاعب الدولي السابق لمنتخب "الشياطين الحمر" ياري فيرشارين.. لكن بعد موسمين ستصله رسالة من إدارة ناديه أندرلخت، كادت أن تجهز على حلمه في أن يصبح لاعبا كبيرا، رسالة ملخصها إنهاء فترة وجوده في الأكاديمية بسبب وزنه الزائد.. يقول إسماعيل عن الواقعة بأسف: "نعم لقد كان وزني الزائد هو مبررهم في طردي من الأكاديمية، لكن الذي لم أتقبله هو أنهم تركوا القرار حتى اليوم الأخير الذي سبق انطلاق الموسم الكروي، الشيء الذي دفعني لخوض تداريب انفرادية كالمجنون من أجل إنقاص وزني والتمكن من لعب الموسم مع نادي آخر".

في موسم 2019-2020 كانت محطة



إسماعيل بعد ذلك هي نادي ميشلن البلجيكي، حيث وقع أول عقد احترافي في حياته الكروية، ولعب معه مباريات الدوري الأوربي للشباب، وتألق في مركز الوسط الهجومي، الشيء الذي أعاد اهتمام الهولنديين به وعرضوا عليه الانضمام لنادي "ب إس ف أيندهوفن" في الموسم الموالي.

توقيعه للنادي الهولندي الشهير بعقد يمتد لثلاث سنوات، كان تحولا كبيرا في حياته الشخصية، إذ لأول مرة سيضطر لتحمل مسؤوليته والعيش وحيدا.. يقول إسماعيل الصيباري عن هذا الانتقال: "لقد كانوا يتابعونني منذ ثلاث سنوات، لكني لم أكن قادرا على العيش بعيدا عن أسرتي في بلجيكا، لذلك أخرت هذه الخطوة المهمة في مشواري".

في نونبر 2020، سيتلقى أول استدعاء من طرف المدرب روجي شميدت، من أجل اللعب في صفوف الفريق الأول لنادي أيندهوفن، بعد فترة من لعبه في الفريق الثاني تحت قيادة المدرب المغربي عادل رمزي، لتأتي مرحلة اللاعب الدولي الهولندي السابق، فإن نيستلروي كمدرب، ويصبح معه إسماعيل منذ ذلك الحين لاعبا أساسيا في الفريق ومؤثرا في نتائجه في الدوري الإيريديفيزي، وكأس عصبة الأبطال الأوربية.

دوليا ورغم توفره على ثلاث جنسيات، فإسماعيل الصيباري كان واضحا منذ وجوده في فئة الفتيان داخل أكاديمية أندرلخت، اللعب للمغرب ولا أحد غيره، رغم المحاولات المستمرة من الإدارة التقنية الوطنية في بلجيكا من أجل ضمه إلى أحد منتخباتها السنية.. فيما لبى دعوة مدرب المنتخب المغربي لأقل من 16 ثم 20 سنة زكرياء عبوب، ثم دعوة عصام الشرعي مدرب منتخب أقل من 23 سنة الذي فاز معه إسماعيل بكأس إفريقيا للأمم وتأهل معه لأولمبياد 2024 في باريس الصيف المقبل.

تألقه مع أيندهوفن الهولندي، بموازاة مع مستواه الكبير ضمن المنتخب المغربي الأولمي، كان لابد وأن ينتهي قرار ضمه إلى المنتخب الاول عند الناخب الوطني وليد الر را ي، الذي يبحث من الآن عن بناء قاعدة شابة وواعدة لمنتخب المستقبل، فكان تواجده الحالي ضمن لائحة أسود الأطلس في نهائيات كأس إفريقيا للأمم بالكوت ديفوار مستحقا.







بميزانية سنوية تبلغ 660 مليون يورو، يحتل بايرن المركز الرابع في أعلى ميزانية أوروبية وفقا للتقرير السنوي لشركة. وإذا كانت هذه القوة المالية تسمح للنادي بالتخطيط بهدوء للجانب الرياضي، فإنه يشعر بالقلق من زيادة موارد منافسيه. ويعد الدوري الألماني ثاني أغنى بطولة من حيث حقوق النقل التلفزيوني بـ 1,16 مليار أورو، لكنه يجلب أقل بكثير من البطولة الإنجليزية البالغة 2.3 مليار أورو سنويا.

بايرن ميونيخ.. نموذج اقتصادي لمؤسسة رياضية

محمد الحاجي

خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أحدثت عمليات شراء الأندية من طرف أغنياء العالم ثورة كاملة في كرة القدم. بين عشية وضحاها، ضاعفت بعض الأندية ميزانياتها وأحدثت رجة في النظام المالي والتقني وغيرت الكثير من المعاملات الاقتصادية التي تدور في فلك الرياضة الأوربية.

بدأت الظاهرة عند شراء الملياردير الروسي رومان أبراموفيتش لتشيلسي في عام 2003، وأدت الى إعادة النادي اللندني إلى الدوريات الكبرى، و المنافسة على الألقاب. وفي عام 2008 اشترت العائلة الحاكمة في أبو ظبي نادي مانشستر سيتي، وسرعان ما أثبت النادي نفسه بين نخبة الأندية الأوربية. وامتلكت المجموعة القطرية QSI نادي باريس سان جيرمان في عام 2011، مما أهله ليصبح مستحوذا على الدوري الفرنسي ومتواجدا باستمرار في الأدوار المتقدمة للمسابقات القارية.

وقد أحدث ضخ ميزانيات كبيرة من الأموال في خزينة هذه الأندية من طرف مالكيها الجدد الى بروز الكثير من الاشكاليات المتعلقة بالمنافسة على سوق اللاعبين، والاستثمار في المنتوج الكروي، والسباق نحو السيطرة على المعاملات المالية في عالم كرة القدم، مما أدى الى تضرر الكثير من الأندية التاريخية في أوربا، بعدما فشلت في منافسة غير عادلة، وتراجعت أمام عمليات ضخمة لضخ رؤوس الأموال في اللعبة الأكثر شعبية في العالم.

هذا المعطى الجديد، دفع الاتحاد الأوروبي لكرة القدم بسرعة الى اعتماد قواعد اللعب المالي النظيف (FPF) للحد من إنفاق هذه الأندية الغنية وتأثيرها السلبي على باقي الأندية، خصوصا التقليدية منها التي تمتلك قواعد جماهيرية عريضة عبر العالم. وقد برز بايرن ميونيخ الألماني من بين هذه الأندية التي استفادت من التقنين الجديد للمعاملات المالية في كرة القدم، واستطاع أن يلتحق بالكوكبة الجديدة للأغنياء، عبر نموذج تسيير مالي واقتصادي صلب وواضح.

تأسس بايرن ميونخ في 27 فبراير 1900 على أيدي 11 لاعب كرة قدم بقيادة فرانز جون. وعلى الرغم من فوزه ببطولة الدوري 1932، لم يتم اختيار البايرن ليلعب في أول مواسم البوندسليغا بحلته الجديدة في عام 1963.

وقد شهد النادي حقبته الذهبية في منتصف السبعينات من القرن الماضي بقيادة نجمه التاريخي فرانز بيكنباور، حيث استطاع أن يفوز ثلاث مرات متتالية ببطولة كأس أوروبا بين عامي 1974-1976، واستمر تألق الفريق منذ ذلك الوقت، وهو يعتبر حالياً أنجح الأندية الألمانية كرويا في العقد الماضي، إذ أحرز 5 بطولات للدوري الألماني في آخر عشر سنوات.

حقق النادي لقب دوري أبطال أوروبا 6 مرات (رقم قياسي ألماني)، أخرها يعود لعام 2020 عندما تغلبوا على باريس سان جيرمان الفرنسي كجزء من الثلاثية، ليصبح ثاني فريق يحقق هذا الإنجاز مرتين. فاز بايرن أيضًا بكأس الاتحاد الأوروبي مرة واحدة، وكأس الكؤوس الأوروبية مرة واحدة، وكأس السوبر الأوروبي مرتين، بالإضافة إلى كأس العالم للأندية مرتين، ومثلهما في كأس الإنتر كونتنتال.

اقتصادياً، يمكن تفسير هذا التميز الذي يحظى به النادي البافاري من خلال قدرته على التحكم في تكاليفه وتنويع عائداته، وقيامه بمعاملات مالية مدروسة، وبدون هامش كبير للمخاطرة. إدارة النادي تختلف فلسفتها جذريا عن إدارة العديد من منافسيها الأوروبيين، المثقلين بالديون (مانشستر يونايتد، وإنتر ميلان، وأتلتيكو مدريد...).

ويعد بايرن ميونيخ النادي الأول على صعيد الإيرادات في ألمانيا والرابع على المستوى العالمي وفقاً لتقرير ديلويت لخدمات الأعمال المتعلق بلائحة أغنى أندية العالم، وملكية النادي تعود لأعضائه الذي يبلغ عددهم 185 ألفاً، ويمتلك البايرن 3202 نادي رسمي للمعجبين حول العالم حيث تضم هذه الأندية حوالي 230 ألف مشترك.

وشهد نادي بايرن ميونخ، ارتفاع دخله من 474 مليون يورو إلى 660 مليون يورو بين عامي 2015 و2019، بحسب آخر تقرير لشركة ديلويت. وهي تستمد 54 % من إيراداتها من أنشطتها التجارية، ولا سيما بفضل راعييها Adidas و Deutsche Telekom، و32% من حقوق البث التلفزيوني.

كما تستفيد المؤسسة الرياضية البافارية من مداخيل مهمة من ملعب النادي الرئيسي، أليانز أرينا، بحوالي 14% من إيراداتها، وهو ملعب حديث تم بناؤه في إطار استعدادات ألمانيا لاحتضان منافسات كأس العالم 2006. الملعب الضخم الذي كلف بناءه



حوالي 400 مليون أورو، تم الانتهاء من تسديد تكاليفه في عام 2014، أي ستة عشر عامًا مقدمًا.

بميزانية سنوية تبلغ 660 مليون يورو، يحتل بايرن المركز الرابع في أعلى ميزانية أوروبية وفقا للتقرير السنوي لشركة Deloitte Football Money League. وإذا كانت هذه القوة المالية تسمح للنادي بالتخطيط بهدوء للجانب الرياضي، فإنه يشعر بالقلق من زيادة موارد منافسيه. ويعد الدوري الألماني ثاني أغنى بطولة من حيث حقوق النقل التلفزيوني بـ 1.16 مليار أورو، لكنه يجلب أقل بكثير من البطولة الإنجليزية البالغة 2.3 مليار أورو سنويا.

وينظر النادي الألماني أيضًا بقلق إلى كون مبالغ عقود الرعاية لبعض منافسيه تتزايد بشكل كبير كل عام، حيث يقوم بعض مالكي الأندية الغنية برعاية أنديتهم بشكل مباشر من خلال شركات أخرى في ملكيتهم من أجل تجاوز قواعد اللعب المالي النظيف. هذا ما دفع الادارة التنفيذية للبايرن الى الاعتماد على دعم شركائه منذ فترة طويلة مثل الشركات الألمانية العملاقة تيليكوم وأودي، وأليانز، وأديداس، لمواصلة التنافس مالياً مع الأندية الكبرى الأخرى، على الرغم من أن هذه الشركات لا تتمتع بنفس القوة المالية التي تتمتع بها مثلا شركات الطيران في الشرق الأوسط التي ترعى أندية أوربية أخرى.

وسعيا لضمان مستقبله المالي، وفي إطار تنويع مصادر دخله خلال السنوات المقبلة، وقع النادي البافاري عقد شراكة مع شركة الخطوط الجوية القطرية منذ عام 2018 مقابل 10 ملايين أورو سنويًا، اشترت شركة الطيران الخليجية حق وضع شعارها على أكمام قميص فريق البايرن.

وإذا كان هذا المبلغ يشبه قطرة في محيط ميزانية النادي الحالية، فإن الشراكة كان هدف الألمان منها بالأساس فتح نافذة على الأسواق المالية الكبرى والشركات الاقتصادية العملاقة عبر العالم، بحثا عن عقود رعاية أخرى في المستقبل.

نجح بايرن ميونيخ في فرض نفسه كنموذج اقتصادي مثالي للمؤسسات الرياضية، وتمكن من الحفاظ على مكانته العملاقة وتعزيزها خلال السنوات التي شهدت تحولات كبيرة في كرة القدم. الإدارة الرياضية والمالية الصلبة جعلت من بايرن ميونخ ناديًا فريدًا من نوعه، يستطيع أنصاره المنتشرين حول العالم، أن يطمئنوا على مستقبل ناديهم الكروي وعلى مكانته في الأدوار المتقدمة، وأن يراهنوا على المزيد من الألقاب و الانجازات خلال السنوات المقبلة.







بروفايل

فاطمة الافريقي

امسح للاستماع
للبودكاست

متى تتصلين بالإنترنت أول مرة خلال اليوم؟

في الصباح وانا أفطر، اختار موسيقى مبهجة على منصة اليوتوب ..

ما نوع شفرة إقفال هاتفك المحمول، (رقم سري، أم رسم هندسي، أم البصمة، أم ملامح الوجه...)؟

البصمة

ما هي الشبكات الاجتماعية التي تستخدمينها؟

لمتابعة المستجدات وتجاذبات النقاش العمومي أقوم باطلالة على الفايسبوك واليوتوب، لتأمل المغاربة السعداء ألقي نظرة على منشورات الانستغرام..

كيف تختار بن "أصدقاءك" والحسابات والصفحات التي تتواصل معها؟

لا أتواصل الا مع الاصدقاء الواقعيين والناس الذين اعرفهم..

هل تساهمين في الشبكات الاجتماعية بالنشر والتفاعل أم تكتفي بالتصفح والمراقبة؟

كنت أنشر وأتفاعل، اليوم أكتفي بالمتابعة عن بعد..

ما نوع الصور التي تستعملينها كخلفية لشاشة هاتفك؟

صورة تجريدية محايدة

ما هو تطبيق المراسلة النصية المفضل لديك (واتساب أم فيسبوك ميسنجر أم سينيال أم تلغرام...)؟

تطبيق الواتساب

هل تفضلين الدردشة عبر المراسلة النصية (كتابة) أم التسجيلات الصوتية أم الفيديو؟

أفضل المراسلة النصية، حتى وان توصلت برسالة صوتية أرد عليها كتابة، وأحاول ما أمكن ان اكتب بلغة سليمة مع احترام علامات الترقيم، أمر غريب فعلا، لكن صدقًا، من كثرة الاوديوهات المتدفقة عبر المراسلات، أصبح عندي رهاب شديد من فقدان القدرة على الكتابة.

هل تستعملين خدمات التبضع والأداء الإلكترونيين؟

نعم، أجدها عملية أكثر ومريحة للوقت .

the Voice
صوت المغرب

الصوت هنا... **صوت المغرب**.



عصام واعيس

ثَوْرَة اَلْقَنَافِذِ

تخرج الدابة في قلب العاصمة الرباط وتسيح دماؤها في الطرقات والشوارع وتجتاح الحيرة أعين المغاربة وتضج نشرات الأخبار بالغرابة ويختلف الناس في تفسير ما يقع، بين من يرى في الظاهرة علامة من علامات الساعة ومن يرى فيها طفرة مفاجئة في حياة كائن لا يثير القلاقل بطبيعته، تتناسل الإشاعات وتدخل الأجهزة على الخط، ويجد مربّي نحل ربط صداقة غريبة مع قنفذ جريح نفسه في ورطة كبرى تمس أمن البلاد واستقرارها..

بدأت محنة إبراهيم النحّال وبطل رواية "من خشب وطين" لمحمد الأشعري، بعد انفجار كيانه بأسئلة ضارية في لحظة إخفاق عاطفي ازدوج بتصاعد شعور جارف و"مبهم" بالحاجة إلى الخلاص:"ما هو الضروري؟ وما هو الزائد؟ ما هو المصير الذي نتحكّم فيه، والذي لا نتحكم فيه؟ لمن نرضخ عندما نقبل بما نحن عليه إلى أن يتغيّر من تلقاء نفسه؟ ماذا نخسر حين نخسر؟ وماذا نربح عندما نربح؟".

بلغة أسرة، يأخذنا محمد الأشعري في النتائج غير المتوقعة والخطِرة لقرار موظف يعيش في رتابة اليومي والآمن الانفصال عن كل شيء باتجاه غابة المعمورة "حتى صار شخصا شبيها بإنسان بداني، يعيش بعقله وروحه وجسده في الغابة"، "شخصا انفصل عن فكرة النجاح. هذه الفكرة المتعجرفة التي تُوهم بأن النجاح أهم وأفضل من الحياة، وتشيع بين الناس دينا جديدا قائما على تمجيد المكاسب وتحقير الخسارات، والمشي مع الأقوياء على أجساد "الساقطين" ".

سيقرر إبراهيم القيام بانزياح كبير في حياته سيستعيد معه ملامحه الخاصة وذاكرته وأحلامه وقدرته على التداوي بالحب والأدب وليل الغابة، ولن يعرف وهو ينقل قنفذا جريحا إلى الرباط، لإنقاذه من الموت، أنه سيتسبب بخروج الدابة!

بهذا الشكل، ستتحرك أحداث الرواية بهجرتين عكسيتين متزامنتين، واحدة تعيد إبراهيم إلى حضن الغابة، وثانية تنتهي ب"ينسي" (القنفذ) قاطنا في أحد أعتى رموز مجتمع الاستهلاك، في مكان يحترف فتح شهية الناس على الأشياء والزوائد والأماني وإقحامهم في صراعات نفسية حول عروض العيش الرغيد السخية.

سيترك "ينسي" غابة المعمورة وراءه ويدخل "غابة الأشياء" التي تعج بها أسواق مرجان

ومتاهة "الأرواح القلقة" في ممرّاته، فيما سيعيد إبراهيم الاتصال بالطبيعة والحب والسكون والنجوم والصداقة ومجالس السمر الدافئة، ويرهف السمع لنبض الغابة وجروحها وأمجادها ووحوشها وفرسانها وقبائلها.

يفتل الأشعري من ذاكرة الأمكنة روح الحكاية. بين الغابة والمدنية، ومن شقة أكدال وحي الفتح إلى مثلث السويسي وحي الرياض ودار السلام وصولا ل"دوار الضبابة" بتيفلت والماس وتيدّاس والخميسات تمتلئ الأمكنة والمسالك بالألم والمأساة والحب والقسوة، وتتجاور التناقضات وتنتقل الأرواح بين الأمكنة محملة بأثقال البدايات أو شرارات القلق العاصف..

ف"ينسي" سيشكل جيشا من القنافذ في مرجان، وستبدأ هذه الأخيرة شيئا فشيئا تقلق راحة ساكنة الأحياء الراقية بالعاصمة، قبل أن تجتاح مناطق وأحياء واسعة من الرماني ودار السلام وأبي رقراق وسد الكثرة وكيش الوداية وأكدال وغيرها، خاصة مع حدوث ثلاثة تحولات على القنافذ تتمثل في تضخم أحجامها وارتفاع أصواتها وانكسار بياتها الشتوي..

ستتحرك السلطات وتبدأ تحقيقاتها في الموضوع، لتتشابك خيوط حراك القنافذ مع حراك الريف ومسيرات العطش ومحاكمات الرأي، وتتعقّد الحكاية وتفرض القنافذ نفسها ضمن الأحداث الكبرى ..

أحداث يخترق فيها الخرافي البناء الواقعي للمشاهد، لتترجم، رمزيا، رفضاً للجمود الذي جثم على المغرب بعد لحظات أمل ومحاولةً لافتكاكه منه نحو "قلق عاصف" تولد منه "الأفكار المخلخلة، والفنون والآداب العظيمة، والأشجار التي تتسابق على خيوط الشمس،والمُدن التي تنبت فيها المسرّات والأحزان، القسوة والحنو في تراب واحد جنبا إلى جنب، عارية لا تخجل من بعضها، ولا ترى نفسها عورة في مرآة الآخر".

رغم كل شيء، سيزيد تصميم المحققين على الوصول إلى أصل هذا القلق الذي أصاب النظام العام. من أين أتت القنافذ؟ وكيف غادرت جحورها وصار لها صوت وأجنحة حتّى؟ ما الخلل الذي تسبب في ظهور كل هذا؟ من هذا القنفذ الذي ترك حياة الرباط الرغيدة واختار الإقامة في بيت من خشب وطين؟"



the Voice
صوت المغرب

صوت المغرب... صدى الحقيقة

